# زبدة
# نصيحة الملوك

## لحجة الإسلام الإمام الغزالى

عالم الكتب

نشر * توزيع * طباعة

الإدارة :

١٦ شارع جواد حسني
تليفون : ٣٩٢٤٩٢٩
فاكس : ٣٩٣٩٠٢٧

المكتبة :

٣٨ ش عبد الخالق ثروت
تليفون : ٣٩٢٦٤٠١
ص.ب : ٦٦ محمد فريد
الرمز البريدي : ١١٥١٨

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

رقم الإيداع : ٢٤٩٥ / ٢٠٠٠
ISBN : 977-232-202-1

سلسلة زبدة التراث : العدد رقم ٢

# زبدة

# نصيحة الملوك

## لحجة الإسلام الإمام الغزالى

إعداد وتقديم

دكتور عبد الحميد صالح حمدان

عالم الكتب

# سلسلة «زبدة التراث»

تهدف هذه السلسلة في المقام الأول إلى إحياء تراثنا الحضاري الديني والعلمي بتبسيطه وجعله في متناول يد الجميع، وخاصة شباب جيلنا المعاصر. وتقوم هذه السلسلة على أساس انتقاء زبدة نصوص شوامخ المؤلفات والمصنفات لأعلام الفكر العربي والإسلامي وإخراجها في صورة موجزة لا تخل بل وتفي بالغرض الذي وضعت من أجله دون الإثقال على القارئ الكريم بالتفاصيل المطولة أو الحواشي المسهبة. وقد جاء الاختيار غير عشوائي أو تعسفي، لكي يرضي جميع الأذواق والاتجاهات وليكون مرآة صادقة لتراث حضارتنا الزاهرة وصانعيها على مر العصور، وإتاحة الفرصة للرجوع إلى الأصل الذي لا تغني هذه الزبدة عنه بطبيعة الحال. فالغرض الأساسي لهذه السلسة هو تحبيب التراث إلى النفوس وتقريبه إلى الأذهان.

وستعتمد هذه السلسلة على أمهات الكتب المحققة بواسطة محققين ثبت، وكذلك على بعض المخطوطات عند الاقتضاء.

**الناشر**

# تقديم

كتب الإمام أبو حامد الغزالي كتاب «التبر المسبوك في نصيحة الملوك» في أواخر أيامه باللغة الفارسية وقدمه إلى السلطان السلجوقي محمد ابن ملكشاه (المتوفى سنة ٥١١ هـ). وترجم هذا الكتاب بعد ذلك إلى اللغة العربية على يد أحد تلامذة الإمام الغزالي[١]. كما ترجم إلى اللغة التركية على يد محمد بن علي المعروف بعاشق چلبي، وعلاتي بن محمد الشريف الشيرازي[٢].

ولقد تعددت عناوين الترجمة العربية بتعدد القائمين بالترجمة، ومن هذه العناوين نذكر ما يلي: «التبر المسبوك في نصيحة الملوك» (وهو الأشهر والأكثر تداولاً)، و«فريدة السلوك في نصيحة الملوك»، و«نصيحة الملوك والوزراء والأمراء»، إلخ.

ويعالج هذا الكتاب الموضوعات السياسية والاجتماعية ومجتمع الحكام والسلاطين وحياة البلاط في العصر الذي عاش فيه الغزالي، وذلك في صورة نصائح ومواعظ ووصايا تهدف جميعها إلى إرشاد الحاكم في حكم الرعية وتبصيره بأمور الدولة وآداب السلوك والمعاملات القائمة على العدل والهداية والسياسة. فالسياسة من الدين، ولم يكن الدين

(١) صفي الدين علي بن مبارك الاربلي في القرن السادس الهجري.

(٢) انظر حاجي خليفة «كشف الظنون»، ١/ ٣٣٧.

منفصلاً عن السياسة كما أن السياسة لم تنفصل عن الأخلاق، وهي رأس مال الحاكم أو الملك. وقد كان علم السياسة في الإسلام يدخل ضمن العلوم العلمية، وصنف فيه العلماء المسلمون مؤلفات عديدة ابتداء من القرن الثالث الهجري، وكانت متأثرة في معظمها بالفكر السياسي الفارسي، ودارت كلها حول هداية الملوك والأمراء والحكام، وأطلق عليها اسم «الآداب السلطانية».

وقد قسم الغزالي كتابه «نصيحة الملوك» إلى مقدمة ذكر فيها أصول شجرة الإيمان وفروعها ومعرفة الدنيا وماهيتها ومعرفة النفس الأخير، وتناول في الباب الأول العدل والسياسة وذكر الملوك وسيرهم. وعالج في الباب الثاني سياسة الوزراء وسيرهم، ثم ذكر الكتّاب وآدابهم في الباب الثالث. أما الباب الرابع فقد خصصه للكلام عن سمو همم الملوك. وكرّس الباب الخامس والسادس للحديث عن الحكمة وما قالته الحكماء، وشرف العقل والعقلاء. وختم كتابه بفصل هام عن المرأة، وعن طرق تربيتها وفق الشريعة الإسلامية، معتبراً إياها عماد الأسرة وركيزة أساسية في بناء المجتمع.

## نبذة عن الغزالي:

ولد أبو حامد الغزالي بمدينة طوس في أواسط القرن الخامس الهجري (٤٥٠هـ/١٠٥٨م) في خراسان. وكان والده يغزل الصوف ويبيعه. وأظهر الغزالي منذ صغره نبوغاً حاداً، واجتهد وتعلم على كبار علماء عصره، ولازم إمام الحرمين أبي المعالي الجويني في نيسابور، فبرع في المذهب والخلاف والجدل والمنطق وقرأ الحكمة والفلسفة. وبعد موت إمامه الجويني، خرج الغزالي من نيسابور، وعينه السلطان نظام الملك أستاذاً في نظامية بغداد عام ٤٨٤هـ/١٠٩١م.

وخلال إقامته في بغداد انصرف إلى التدريس والتأليف والتصنيف. ولكنه لم يستمر طويلاً على هذا الحال، إذ سرعان ما ألمت به ثورة نفسية داخلية، وعزفت نفسه عن المناصب، فترك بغداد لقضاء فريضة الحج، وعرج بعدها إلى دمشق الشام عام ٤٨٩هـ. وأمضى الغزالي بدمشق عشر سنوات، عكف فيها على التأمل والتفكير في زاوية بالجامع الأموي. وانصرف إلى ترويض نفسه ومجاهدتها بالعبادة، ورجع إلى بغداد حيث عقد مجلساً للوعظ والتكلم على لسان أهل الحقيقة. واستدعي بعد ذلك إلى نيسابور، فدرس فيها مدة وجيزة، انتقل بعدها إلى طوس، مسقط رأسه، فاتخذ إلى جانب داره مدرسة للفقهاء وخانقاه للصوفية. ووزع أوقاته بين التدريس ومجالس أهل العلم وجعل قسماً من وقته للعبادات والوعظ إلى أن مات بها عام ٥٠٥هـ/ ١١١١م[١].

وللإمام الغزالي مؤلفات عديدة[٢] أهمها:

١ ـ إحياء علوم الدين

٢ ـ أيها الولد

٣ ـ المنقذ من الضلال

٤ ـ تهافت الفلاسفة

٥ ـ كيمياء السعادة

٦ ـ كتاب الواعظ في الأحاديث القدسية[٣].

---

(١) انظر ابن خلكان، ١/٥٨٦، وطبقات السبكي ٤/١٠١؛ ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ١/١٩١.

(٢) انظر تفاصيلها في معجم سزكين، ٢/٨/١٤٠٨.

(٣) صدر بتحقيقنا، القاهرة، ١٩٨٨.

وقد صدر كتاب «النصيحة الملوك» في عدة طبعات منها طبعة حسن العدوى الحمزاوى عام ١٢٧٧هـ؛ وطبع كذلك بمطبعة الآداب والمؤيد عام ١٣١٧هـ، كما صدر بهامش كتاب سراج الملوك للطرطوشي (مصر ١٣٠٦هـ). وظهرت منه طبعة حديثة محققة بمعرفة الدكتور محمد أحمد دَهَج، في بيروت، عام ١٩٨٧، اعتمادا على هذه الطبعات وعلى مخطوطتى الجامعة الأمريكية في بيروت والمكتبة الظاهرية في دمشق (انظر اللوحتين ١ و٢).

وبعد فالقارئ لهذه النصائح سيلمس مدى احتفاظها بطابعها الفلسفي والعلمي في آن، وارتباطها المباشر بحياة الناس وبتنظيم علاقاتهم ابتداء من الحاكم ومروراً بالعلماء وانتهاء بالمرأة ودورها في تربية الأولاد والمحافظة على أملاك الزوج. وكان هدف الإمام الغزالي من ذلك هو إقرار العدل والمساواة وحفظ حدود الدين وحقوق العامة، بل والمحافظة على بقاء النوع الإنساني واستكمال خط السير الذى بدأه الأنبياء والرسل الداعى إلى معرفة الله والإيمان بوحدانية الخالق وقدرته وباليوم الآخر، وذلك تمهيداً لبناء المواطن الصالح من خلال إعداد الحاكم الفاضل، وإقامة دولة الحقوق والواجبات، وهي أمور تصلح لكل زمان ومكان، وهي وإن كانت تنطبق على الماضى فإنها تنطبق على الحاضر أيضا.

**والله ولي التوفيق،،،**

**دكتور**

**عبد الحميد صالح حمدان**

كتاب نصيحة الملوك

الوزراء والولاة والوزراء الوا

تصنيف الشيخ الامام زين الدين حجة الاسلام

فخر الائمة حسن الانام ابي حامد الغزالي

رحمه الله عليه

اصفى خلق الله واحوجهم للطف الخفي

الحنفي

اللوحة رقم (١ - أ)

اللس اولا من لم يلك بايعا الروح منه بارخص الاثمان
واذا اك فادوت بنابل مكسن ومعلق بالنعر جل اعان
وبعض فرع آدم مع يوسف في محكم الذنب بالعصيان
مجنون عامرها ومن حب النسا في السند بادعجايب

النسوان

كل النسا منهن باقي والوفا منهن زايل مدا الازمان

تم الكتاب

ولله الحمد وحده وصلوته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

كتاب

التبر المسبوك في نصيحة الملوك

تأليف العلامة نجم الإسلام

أبو حامد محمد بن محمد الغزالي

تغمده الله برحمته ورضوانه

إلى العرسة

وكان اسمه العارسة كتف ملكشاه

ملخص الشعب

# زبدة

# التبر المسبوك في نصيحة الملوك المعروف بنصيحة الملوك

الحمد لله على أنعامه وأفضاله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وبعد. . .

فإنه سألني بعض المتقدمين من الكبراء أن أنقل له هذا الكتاب، وهو كتاب نصيحة الملوك من اللغة الفارسية إلى الألفاظ العربية، وامتثلت ذلك ونقلته على ترتيبه وصورته. ولم أغيّر شيئاً من وضع الكتاب وصنعته، واجتهدت في تسهيل عباراته وإيضاح إشاراته قصداً لمستعمل الكلام، ليكون أقرب إلى الإفهام بقدر ما يبلغه بلاغته وأفصحت عنه فصاحته. وترجمت عما استشهد به مؤلف الكتاب من الأشعار الفارسية إلى معانيها، وتلويحاً إلى مقاصدها ومغازيها.

وأنا أعتذر من تقصيري غاية الاعتذار إذ لم أكن من فرسان هذا المضمار. فليتجاوز عن تقصيري الكرماء، وليصفح عن نقصه بفضلهم العلماء. ومن وجد في كلامه خللاً فستره أو أصاب زللاً فغيره، حاز بذلك جزيل الأجر وجميل الذكر. وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب.

قال الشيخ الإمام زين الدين حجة الإسلام شرف الأئمة أبو حامد ابن محمد بن محمد الغزالي الطوسي رحمة الله عليه، وهو يخاطب السلطان محمد بن ملكشاه رحمه الله: أعلم ياسلطان العالم وملك الشرق والغرب إن لله عليك نعماً ظاهرة وآلاء متكاثرة يجب عليك شكرها ويتعين عليك إذاعتها ونشرها. ومن لم يشكر نعم الله تعالى جل

ثناؤه وتقدست أسماؤه فقد عرّض تلك النعم للزوال، وخجل من تقصيره يوم القيامة. وكل نعمة تفنى بالموت فليس لها عند العاقل قدر ولا عند اللبيب خطر لأن العمر وإن تطاولت مدته، لا ينفع طوله إذا انقضى عدده فإن نوحاً عليه السلام عاش ألف سنة ونيفاً، ومنذ موته إلى الآن خمسة آلاف سنة وكأنه لم يكن. فالقدر للنعمة التي تبقى على الدوام مدى الليالي والأيام. وهي نعمة الإيمان الحقيقة. فلم ترض من نفسك ما لا ترضاه من عبدك. فانو الصيام في ليلة الجمعة وإن أضفت إليه الخميس كان أولى وقم يوم الجمعة صبحاً واغتسل والبس من الثياب ما له ثلاث صفات: أن يكون جلالاً. وأن يكون مما تجوز فيه الصلاة، وأن لا يكون أبريسماً، وأن يكون في الصيف، الدبيقي والقصب والتوزري والكتان. وفي الشتاء، الخز والقطن والصوف الرومي وكل ثوب على غير هذه الصفة فإن الله تعالى لا يرضاه.

وصلِّ الصبح في جماعة ولا تتكلم إلى أن تطلع الشمس، ولا تحوّل وجهك عن القبلة وخذ السبحة في يدك وقل لا إله إلا الله محمد رسول الله ألف مرة. فإذا طلعت الشمس فآمر قارئاً يقرأ عليك هذا الكتاب. وكذلك فليقرأ عليك في كل جمعة ليحصل في محفوظك فإذا فرغ من قراءة الكتاب، فصلِّ أربع ركعات وسبح الله إلى وقت الضحى فإن ثواب هذه الصلوات عظيم وخاصة يوم الجمعة.

وبعد ذلك وإن كنت على تخت الإسلام أو كنت في الخلوة فقل: اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد متواتراً. ومهما قدرت أن تتصدق في هذا اليوم فتصدّق، واجعل هذا اليوم الواحد من أيام الأسبوع لله تعالى ليجعل الله باقي الأسبوع مكفراً عنك.

## ١ ـ ذكر أصول شجرة الإيمان

### الأصل الأول ـ ابتداء قاعدة الإيمان:

أعلم أيها السلطان أنك مخلوق ولك خالق. وهو خالق العالم وجميع ما فى العالم وأنه واحد لا شريك له فرد لا مثيل له. كان فى الأزل وليس لكونه زوال. ويكون مع الأبد وليس لبقائه فناء. وجوده فى الأزل والأبد واجب وما للعدم إليه سبيل، وهو موجود بذاته وكل أحد إليه محتاج، وليس له إلى أحد احتياج. وجوده هو ووجود كل شيء به.

### الأصل الثانى ـ فى تنزيه الخالق تعالى:

أعلم أن البارى تعالى ذكره ليس صورة ولا قالب، وأنه لا ينزل ولا يحل فى قالب. وأنه تعالى منزه عن الكيف والكم وعن ماذا ولم، وأنه لا يشبه شيئاً من الأشياء ولا يشبهه شيء. وكل شيء يخطر فى الوهم والخيال والفكر من التكييف والتمثيل فإنه منزه عن ذلك لأن ذلك من صفات المخلوقين، وهو خالقها ولا يوصف بها. وأنه تعالى جده ليس فى مكان ولا على مكان لأن المكان لا يحصره. وكل ما فى العالم فإنه تحت عرشه وتحت قدرته وتسخيره، وأنه قبل خلق العرش كان منزهاً عن المكان، وليس العرش بحامل له، بل العرش وحملته يحملهم لطفه وكرمه وقدرته.

وإنه تقدّس عن الحاجة إلى المكان قبل خلقه العرش وبعد خلقه. وإنه متّصف بالصفة التي كان عليها في الأزل. ولا سبيل للتغيير والانقلاب إلى صفاته، وهو متقدس عن صفات المخلوقين منزه. وهو في الدنيا معلوم وفي الآخرة غير مرئي كما نعلمه في الدنيا كذلك نراه في الآخرة بلا مثيل ولا شبيه لأن تلك الرؤية لا تشابه رؤية الدنيا. ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

### الأصل الثالث - في القدرة:

وإنه تعالى على كل شيء قدير وأن قدرته وملكه في نهاية الكمال. ولا سبيل إليه للعجز والنقصان بل ما شاء فعل وما يشاء يفعل وأن السماوات السبع والأرضين السبع والكرسي والعرش في قبضة قدرته وتحت قهره وتسخيره ومشيئته وهو مالك الملك، لا ملك إلا ملكه.

### الأصل الرابع - في العلم:

وإنه تعالى عالم بكل شيء معلوم وعلمه محيط بكل شيء. وليس شيء من العلا إلا الثرى إلا وقد أحاط به علمه. لأن الأشياء جميعها بعلمه ظهرت، وبقدرته انتشرت. وإنه تعالى يعلم عدد رمال القفار وقطرات الأمطار، وورق الأشجار وغوامض الأفكار وما دارت عليه الرياح والهواء، في علمه ظاهر مثل عدد نجوم السماء.

### الأصل الخامس - الإرادة:

إن جميع ما في العالم بإرادته ومشيئته. وليس شيء من قليل أو كثير أو صغير أو كبير خير أو شر نفع أو ضر زيادة أو نقصان. راحة أو تعب صحة أو وصب إلا تحت تدبيره ومشيئته وتقديره ولو اجتمع الإنس

والجن والملائكة والشياطين على أن يحركوا في العالم ذرة أو يسكنوها أو ينقصوها أو يزيدوها بغير إرادته وحوله وقوته لعجزوا ولم يقدروا على ذلك. وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا يرد مشيئته شيء مهما كان ويكون، وما هو كائن فإنه بتدبيره وأمره وتسخيره.

**الأصل السادس ـ في أنه سميع بصير:**

وكما أنه عالم بجميع المعلومات إنه بصير بكل مرئي، وإن القريب والبعيد في سمعه متماثل. والضياء والظلام في بصره شيء واحد. وإنه يرى دبيب النملة في الليلة المظلمة ولا يخفى عنه شيء ولا يُغرب عن سمعه صوت الدودة تحت أطباق الأرض. وإن سمعه ليس بأذن وبصره ليس بعين. كما أن علمه لا يصدر عن فكرة وفعله بغير آلة وعدة يقول لشيء كن فيكون.

**الأصل السابع ـ في الكلام:**

وإن أمره تعالى على جميع الخلق نافذٌ واجب مهما أخبر به من وعد أو وعيد فإنه حق، وأمره كلامه. وكما أنه عالم مريد قدير سميع بصير، فهو متكلم وكلامه بغير حلق ولا لسان ولا فهم ولا أسنان. والقرآن والتوراة والإنجيل والزبور والكتب والمنزلة على الأنبياء عليهم السلام جميعها كلامه. وكلامه صفته، وكل صفاته قديمة ولم تزل. وكما أن الكلام عند الآدمي حرفٌ وصوتٌ فكلام الله تعالى مقدس منزه عن الحرف والصوت.

**الأصل الثامن ـ في أفعاله تعالى:**

وجميع ما في العالم مخلوق له. وليس معه شريك ولا خالق، بل

هو الخالق الواحد. ومهما خلقه من تعب ومرض وفقر وعجز وجهل فعدلٌ منه. ولا يمكن الظلم من أفعاله لأن الظالم هو الذي يتصرّف في ملك غيره، والخالق تعالى لا يتصرّف إلا في ملكه. وهو المالك بلا شبيه ولا شريك وليس لأحد عليه اعتراض بكم ولا بكيف. ولكن له في كل أفعاله الحكم والأمر. وما لأحد غير التسليم والنظر إلى صنعه والرضا بقضائه.

## الأصل التاسع - في ذكر الآخرة:

وإنه تعالى خلق العالم من نوعين: من جسد وروح، وجعل الجسد منزلاً للروح لتأخذ زاداً لآخرتها من هذا العالم. وجعل لكل روح مدة مقدرة تكون في الجسد. فآخر تلك المدة هو أجل تلك الروح من غير زيادة ولا نقصان، فإذا جاء الأجل فرّق بين الروح والجسد. وإذا وضع الميت في قبره أعيدت روحه إلى جسده ليجيب سؤال منكر ونكير. وهما شخصان هائلان عظيمان. فيسألانه من ربك؟ ومن نبيك؟ فإن استعجم ولم يُجب! عذباه وملأى قبره حيات وعقارب.

ويوم القيامة يوم الحساب والمكافأة والمناقشة والمجازاة تُردّ الروح إلى الجسد وتنشر الصحف وتعرض الأعمال على الخلائق، فينظر كل إنسان في كتابه فيرى أعماله ويشاهد أفعاله ويعلم مقدار طاعته ومعصيته. وتوزن أعماله في ميزان الأعمال يؤمر بالجواز على الصراط، والصراط أدق من الشعرة وأحدُّ من الشفرة. فكل من كان في هذا العالم على الطريقة المستقيمة الصالحة وسلوك المحجة الواضحة، عَبَر على الصراط وجازه في راحة واستراحة وإن لم يكن على السيرة المحمودة والأعمال الرشيدة وعصى مولاه واتبع هواه فإنه لا يجد الطريق على الصراط

ولا يهتدي إلى الجواز، ويقع في جهنم. والكل يوقفون على الصراط ويسألون عن أفعالهم فيسأل الصدقون عن صدقهم ويمتحن المنافقون والمراؤون عن أفعالهم ويفتضحون. فمن الناس قوم يدخلون الجنة بغير حساب وجماعة يحاسبون بالرفق والمسامحة، وجماعة يحاسبون بالمناقشة والصعوبة والمحاققة. ثم يسحب الكفار إلى جهنم بحيث لا يجدون خلاصاً. ويدخل أهل الإسلام المطيعون إلى الجنة ويؤمر بالعُصاة إلى النار. فكل من نالته شفاعة الأنبياء والعلماء والأكابر من الصلحاء والأولياء عفي عنه. وكل من ليس له شفيع عوقب بمقدار إثمه وعذب بمقدار جرمه. ثم يدخل الجنة إن كان قد سلم معه إيمانه إلى الآخرة.

## الأصل العاشر ـ في ذكر رسول الله ﷺ:

ولما قدر الله تعالى هذا التقدير وجعل أفعال الإنسان وأحواله واكتسابه وأعماله، منها ما هو سبب شقاوته ومنها ما هو سبب لسعادته. والإنسان لا يقدر أن يعرف ذلك من تلقاء نفسه. خلق الله تعالى بحكم فضله وقدرته ورحمته وطوله ومنّته ملائكة. وبعثهم إلى أشخاص قد حكم لهم بالسعادة في الأزل، وهم الأنبياء صلوات الله عليهم. فأرسلهم إلى الخلق ليوضحوا لهم طرق السعادة والشقاوة لئلا يكون للناس على الله حجة. وأرسل رسولنا محمداً ﷺ أخيراً. وجعله بشيراً ونذيراً وأوصل نبوّته إلى درجة الكمال. فلم يبق للزيادة فيها مكان ولا مجال. ولهذا جعله خاتم الأنبياء عليهم السلام.

## ٢ ـ ذكر فروع شجرة الإيمان

إعلم أيها السلطان إنه كلما كان في قلب الإنسان من معرفة واعتقاد فذلك أصل الإيمان. وما كان جارياً على أعضائه السبعة من الطاعة والعدل فذلك فرع الإيمان. وإذا كان الفرع ذابلاً ذاوياً دلَّ على ضعف الأصل، وإنه لا يثبت عند الموت. وعمل البدن عنوان إيمان القلب.

والأعمال التي هي فروع الإيمان هي: تجنب المحارم وإداء الفرائض، وهما قسمان: أحدهما بينك وبين الله تعالى، مثل الصوم والصلاة والحج والزكاة واجتناب شرب الشراب والعفة عن الحرام. والآخر بينك وبين الخلق وهو العدل في الرعية والكف عن الظلم. والأصل في ذلك أن تعمل فيما بينك وبين الخالق تعالى من طاعة أمره والازدجار بزجره، وما تختار أن تعمله عبيدك في حقك. وأن تعمل فيما بينك وبين الناس ما تؤثر أن يعمل معك من سواك إذا كان غيرك السلطان وكنت من رعيته.

واعلم أنه ما كان بينك وبين الخالق سبحانه وتعالى فإن عفوه قريب. وأما ما يتعلق بمظالم الخلق فإنه لا يتجاوز به عنك على كل حال يوم القيامة، وخطره عظيم ولا يسلم من هذا الخطر أحد من الملوك إلا منك عمل بالعدل والإنصاف. فإذا كان الأمر على ذلك فالأهم أن توضح أصول العدل لتعلم كيف يطلب العدل والإنصاف منك يوم القيامة. وأصول العدل والإنصاف عشرة:

### أصول العدل والإنصاف

*الأصل الأول:* أن تعرف أولاً قدر الولاية وتعلم خطرها. فإن الولاية نعمة من قام بحقها نال من السعادة ما لا نهاية له ولا سعادة بعده. ومن

قصر عن النهوض بحقها حصل في شقاوة لا شقاوة بعدها إلا الكفر بالله تعالى.

والدليل على عظم قدرها وجلالة خطرها ما روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: عدل السلطان يوماً واحداً أفضل من عبادة سبعين سنة. وقال عليه السلام: إذا كان يوم القيامة لا يبقى ظل ولا ملجأ إلى ظل الله ولا يستظل بظله إلا سبعة أناس: سلطان عادل في رعيته. وشاب نشأ في عبادة ربه. ورجل يكون في السوق وقلبه في المسجد. ورجلان تحابا في الله ورجل ذكر الله في خلوته فاذرى دمعته من مقلته. ورجل دعته امرأة ذات جمال وكمال مالت نفسه إليها وقال: إني أخاف الله. ورجل تصدق بيمينه ولم تشعر بها شماله. وقال عليه السلام: أحب الناس إلى الله وأقربهم إليه السلطان العادل وأبغضهم إليه وأبعدهم عنه السلطان الجائر.

وقال عليه السلام: والذي نفس محمد بيده أنه ليرفع للسلطان العادل إلى السماء من العمل مثل عمل جملة الرعية. وكل صلاة يصليها تعدل سبعين ألف صلاة. فإذا كان كذلك، فلا نعمة أجلّ من أن يعطى العبد درجة السلطنة، ويجعل ساعة من عمره بجميع عمر غيره. ومن لم يعرف مدة هذه النعمة واشتغل بظلمه وهواه يخاف عليه أن يجعله الله من جملة أعدائه.

ومما يدل على عظم خطر الولاية ما روى ابن عباس رضي الله عنه أن رسول ﷺ أتى بعض الأيام فلزم حلقة باب الكعبة، وكان في البيت نفر من قريش فقال: ياسادات عاملوا رعاياكم وأتباعكم بثلاثة أشياء: إذا سألوكم الرحمة فارحموهم وإذا حكّموكم فاعدلوا فيهم واعملوا بما تقولون فمن لم يعمل بهذا فعليه لعنة الله والملائكة ولا يقبل الله منه

فرضاً ولا نفلاً. وقال عليه السلام: من يحكم بين خصمين بظلم فلعنة الله على الظالمين. وقال عليه السلام: ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: سلطان كاذب، وشيخ زان، وفقير متكبر. يعني أنه متكبر للطمع. وقال عليه السلام يوماً للصحابة رضي الله عنهم:

سيأتي عليكم يوم تفتحون فيه جانبي المشرق والمغرب ويصير في أيديكم. فكل عمال تلك الأماكن في النار إلا من اتقى الله سبحانه وتعالى وسلك سبيل التقوى وأدى الأمانة.

وقال عليه السلام: ما من عبد ولاه الله أمر رعيته فغشهم ولم ينصح لهم ولم يشفق عليهم إلا حرّم الله عليه الجنة. وقال عليه السلام: من ولي أمر المسلمين ولم يحفظهم كحفظ أهل بيته، فقد تبرأ مقعده في النار. وقال عليه السلام: رجلان من أمتي يحرمان شفاعتي: ملك ظالم، ومبتدعٌ غال في الدين متعد في الحدود. وقال عليه السلام: خمسة قد غضب الله عليهم وإن شاء أمضى غضبه ومصيرهم إلى النار، أمير قوم يأخذ حقه منهم ولا ينصفهم من نفسه ولا يرفع الظلم عنهم. ورئيس قوم يطيعونه ولا يساوي بين القوي والضعيف، ويحكم بالميل والمحاباة. ورجل لا يأمر أهله وأولاده بطاعة الله، ولا يعلمهم أمور الدين ولا يبالي من أين يطعمهم. ورجل استأجر أجيراً فتمم عمله ولم يوفه أجرته. ورجل ظلم زوجته في صداقها.

ويروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه شيّع يوماً جنازة، فتقدم رجل وصلى على الجنازة. فلما دفن الميت وضع ذلك الرجل يده على قبره وقال: اللهم إن عذبته فبحقك لأنه قد عصاك، وإن رحمته فإنه

فقير إلى رحمتك. وطوبى لك أيها الميت إن لم تكن أميراً أو عريفاً أو كاتباً أو عوانياً أو جابياً. فلما تكلم بهذه الكلمات غاب شخصه عن عيون الناس. فأمر عمر بن الخطاب بطلبه، فطلب فلم يجد فقال عمر رضي الله عنه هذا الخضر عليه السلام.

وقال النبي ﷺ: ويل للأمراء وويل للعرفاء وويل للعوانية فإنهم أقوام يعلقون في القيامة من السماء بذوائبهم ويسحبون على وجوههم إلى النار يودون لو لم يعملوا عملاً قط. وقال عليه السلام: ما من رجل ولي أمر عشرة من الناس ولم يعدل فيهم إلا جيء به يوم القيامة ويداه مغلولتان بغل إلى عنقه. فإن كان عمله صالحاً فك الغل عنه وإن كان سيئاً زيد عليه غل آخر.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ويل لقاضي الأرض من قاضي السماء حين يلقاه، إلا من عدل وقضى بالحق ولم يحكم بالهوى ولم يمل إلى أقاربه ولم يبدل حكماً لخوف أو طمع ولكن يجعل كتاب الله مرآته وتنصب عينيه ويحكم بما فيه.

وقال عليه السلام: يؤتى بالولاة يوم القيامة فيقول الله جل وعلا: أنتم كنتم رعاة خليقتي وخزنة مملكتي في أرضي. ثم يقول لأحدهم: لم ضربت عبادي فوق الحد الذي أمرت به؟ فيقول: يارب لأنهم عصوك وخالفوك. فيقول جل جلاله: لا ينبغي أن يسبق غضبك غضبي. ثم يقول لآخر: لم عاقبت عبادي أقل من الحد الذي أمرت به. فيقول: يارب رحمتهم. فيقول: كيف تكون أرحم مني! خذوا الذي زاد والذي نقص واحشوا بهما زوايا جهنم.

وقال حذيفة رضي الله عنه: أنا لا أثنى على أحد من الولاة سواء كان صالحاً أو غير صالح، لأني سمعت رسول الله ﷺ يقول: يؤتى بالولاة العادلين والظالمين يوم القيامة، فيوقفون على الصراط، فيوحى الله إلى الصراط أن ينفضهم إلى النار مثل من جار في الحكم أو أخذ رشوة على القضاء أو انحاز سمعه لأحد الخصمين دون الآخر، فيسقطون من الصراط فيهوون سبعين سنة في النار حتى يصلوا إلى قرارها.

وقد جاء في الخبر أن داود عليه السلام كان يخرج في الليل متنكراً بحيث لا يعرفه أحد وكان يسأل الناس عن سيرة داود سراً، فجاءه جبريل عليه السلام يوماً في صورة رجل فقال له: ما تقول في سيرة داود؟ فقال: نعم الرجل داود، إلا أنه يأكل من بيت المال ولا يأكل من كده وتعب يديه. فعاد داود عليه السلام إلى محرابه باكياً حزيناً فقال: إلهي علمني صنعة أكل بها من تعبي وكدّ يدي فعلمه الله تعالى الزرد.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخرج كل ليلة يطوف مع العسس حتى يرى خللاً يتداركه. وكان يقول: لو تركت عنزاً جرباء على جانب ساقية لم تدهن لخشيت أن أسأل عنها يوم القيامة.

فانظر أيها السلطان إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه واحتياطه وعدله وما وصل أحد من الآدميين إلى تقواه كيف يتفكر ويتخوف من أهوال يوم القيامة، وأنت قد جلست لاهياً في أحوال رعيتك غافلاً عن أهل ولايتك.

قال عبد الله بن عمر وجماعة من أهل بيته: كنا ندعو الله تعالى ليرينا عمر رضي الله عنه في المنام، فرأيته في المنام بعد اثنتي عشرة سنة وكان قد اغتسل وهو متلفع بإزار. فقلت: يا أمير المؤمنين كيف وجدت ربك؟ وبأي حسناتك جازاك؟ فقال: ياعبد الله كم لي منذ فارقتكم؟ فقلت: اثنتا عشرة سنة. فقال: منذ فارقتكم وأنا في الحساب وخفت أن أهلك، إلا أن الله غفور رحيم جواد كريم.

فهذا حال عمر ولم يكن له في دنياه شيء من أسباب الولاية سوى درة.

## حكايـــة

أرسل قيصر ملك الروم رسولاً إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه لينظر أحواله ويشاهد أفعاله، فلما دخل المدينة سأل أهلها وقال: أين ملككم؟ فقالوا: ما لنا ملك بل لنا أمير خرج إلى ظاهر المدينة. فخرج الرسول في طلبه فرآه نائماً في الشمس على الأرض فوق الرمل الحار. وقد وضع درته كالوسادة، والعرق يسقط من جبينه إلى أن بل الأرض. فلما رآه على هذه الحالة، وقع الخشوع في قلبه وقال: رجل تكون جميع الملوك لا يقرّ لهم قرار من هيبته وتكون هذه حالته لكنك يا عمر قد عدلت فأمنت فنمت وملكنا يجور فلا جرم أنه لايزال ساهراً خائفاً. أشهد أن دينكم لدين الحق، ولولا أنني أتيت رسولاً لأسلمت، ولكن سأعود بعد هذا وأسلم.

اعلم أيها السلطان أن خطر الولاية عظيم وخطبها جسيم والشرح في ذلك طويل. ولا يسلم الوالي إلا بمقارنة علماء الدين ليعلّموه طرق العدل ويسهلوا عليه خطر هذا الأمر.

*الأصل الثاني*: أن تشتاق أبداً إلى علماء الدين وتحرص على استماع نصحهم وأن تحذر من ورثة علماء السوء الذين يحرصون على الدنيا، فإنهم يثنون عليك ويغرونك ويطلبون رضاك طمعاً فيما في يديك من خبيث الحطام ونسل الحرام ليحصلوا منه شيئاً بالمكر والحيلة. والعالم الصالح هو الذي لا يطمع فيما عندك من المال. وينصفك من الوعظ والمقال.

*وقيل*: إن شقيقاً البلخي رحمه الله دخل على هارون الرشيد فقال له: أنت شقيق الزاهد؟ فقال: أنا شقيق ولست بزاهد. فقال له: أوصني فقال: إن الله تعالى أجلسك مكان الصديق وأنه يطلب منك صدقة وأعطاك موضع عمر بن الخطاب الفاروق وإنه يطلب منك الفرق بين الحق والباطل مثله. وأنه أقعدك مكان ذي النورين. وأنه يطلب منك العلم والعدل كما يطلب مثل حياته وكرمه وأقعدك موضع علي ابن أبي طالب وإنه يطلب منك العلم والعدل كما يطلب منه. فقال: زدني من وصيتك. فقال: نعم. اعلم أن لله تعالى داراً تعرف بجهنم وأنه قد جعلك بواباً لتلك الدار وأعطاك ثلاثة أشياء: بيت المال والسوط والسيف، وأمرك أن تمنع الناس من دخول النار بهذه الثلاثة. فمن جاءك محتاجاً فلا تمنعه من بيت المال ومن خالف أمر ربه فأدبه بهذا السوط. ومن قتل نفساً بغير حق فاقتله بالسيف بإذن ولي المقتول. فإن لم تفعل ما أمر ربك فأنت تكون الزعيم لأهل النار المتقدم إلى دار البوار. فقال له: زدني من الوصية. فقال: إنما مثلك كمثل معين الماء وسائر العمال في الأعمال كمثل السواقي. فإذا كان المعين صافياً لا يضره كدر السواقي. وإن كان المعين كدراً لا ينفع صفاء السواقي.

## خبر

خرج هارون الرشيد والعباس[1] إلى زيارة الفضيل بن عياض[2] فلما وصلا بابه وجداه يتلو هذه الآية: ﴿ أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ ومعنى الآية، أيظن الذين يكسبون الخطايا ويعملون الأعمال المذمومة، أن يساوي بينهم في الآخرة وبين الذين يعملون الخيرات وهم مؤمنون، كلا ساء ما يحكمون. فقال هارون إن كنا قد جئنا نطلب الموعظة فكفى بهذه الموعظة. ثم أمر العباس أن يطرق عليه الباب. فطرق بابه وقال: افتح الباب لأمير المؤمنين. فقال الفضيل: وما يصنع عندي أمير المؤمنين؟ فقال: اطع أمير المؤمنين وافتح الباب. وكان ليلاً والمصباح يتقد فأطفأه وفتح الباب. ودخل هارون الرشيد وجعل يطوف بيده ليصافح الفضيل، فلما وقعت يده عليه قال: الويل لهذه اليد الناعمة إن لم تنج من العذاب. ثم قال: يا أمير المؤمنين استعد لجواب الله يوم القيامة فإنه يوقفك مع كل مسلم على حدة، ويطلب منك إنصافه. فبكى هارون الرشيد بكاء شديداً فقال له العباس: مهلاً يافضيل فقد قتلت أمير المؤمنين فقال له الفضيل: ياهامان[3] أنت وقومك أهلكتموه، وتقول لي مهلاً فقد قتلته! فقال الرشيد للعباس: ما جعلك هامان إلا وقد جعلني فرعون. ثم وضع الرشيد بين يديه ألف دينار وقال له: هذه من وجه حلال من صداق أمي وميراثها. فقال

---

(١) انظر الطرطوشي، سراج الملوك، ١٥٢؛ والأيشيهي، المستطرف، ١/ ١١٠؛ والحميدي الذهب المسبوك، ص ٢١٢.

(٢) من أكابر العباد الصلحاء ورواة الحديث. ولد في سمرقند، وعاش في مكة ومات بها (١٠٥/٧٢٣ ـ ١٨٧/٨٠٣). الزركلي، الأعلام، ٥/ ١٥٣.

(٣) هامان وزير فرعون الذي طلب منه أن يبني له صرحاً يصعد إليه ليرى إله موسى، القرآن الكريم، سورة ٢٨، الآية ٨.

الفضيل: أنا آمرك أن ترفع يديك عنها وتعود إلى خالقك، وأنت تلقيها إليّ. ولم يقبلها وخرج من عنده.

وسأل عمر بن عبد العزيز[1] محمد بن كعب القُرظي فقال: صف لي العدل. فقال: كل مسلم أصغر منك سناً فكن له أباً، ومن كان أكبر منك فكن له ولداً، ومن كان مثلك فكن له أخاً. وعاقب كل مجرم على قدر جرمه. وإياك أن تضرب مسلماً سوطاً واحداً على حقد منك عليه فإنه يصيّرك إلى النار.

حضر بعض الزهاد بين يدي خليفة الوقت فقال له: عظني فقال: أعلم يا أمير المؤمنين أني سافرت إلى الصين، وكان ملك الصين قد أصابه الصمم، وذهب سمعه فرأيته يوماً يبكي ويقول: ما أبكي لزوال سمعي، وإنما أبكي لأجل مظلوم يقف ببابي ويستغيث، فلا أسمع استغاثته ولكن الشكر لله الذي بصري سالم. وأمر منادياً ينادي، كلّ من كانت له مظلمة فليلبس ثوباً أحمر وكان يركب الفيل كل يوم، وكل من رأى عليه ثوباً أحمر دعاه واستمع شكواه وأنصفه من خصماه فانظر ياأمير المؤمنين إلى شفقة ذلك الكافر على عباد الله تعالى، وأنت مؤمن من أهل بيت الرسول ﷺ فانظر كيف تكون شفقتك على رعيتك.

وحضر أبو قلابة إلى مجلس عمر بن عبد العزيز فقال له عمر ابن عبد العزيز: عظني. فقال: من عهد آدم عليه السلام إلى يومنا هذا لم يبق خليفة سواك. قال: زدني. فقال: أنت أوّل خليفة تموت. فقال: زدني. فقال: إن كان الله معك فممن تخاف؟ وإن لم يكن معك فإلى من تلتجئ؟ قال: حسبي بما قلت.

---

(١) انظر سراج الملوك للطرطوشي، ص ٥٢.

وكان سليمان بن عبد الملك[1] خليفة، فتفكر يوماً وقال: قد تنعمت في الدنيا طويلاً، فكيف تكون حالي في الآخرة. وانفذ إلى أبي حازم وكان أعلم أهل زمانه وأزهدهم. فقال: أبعث لي شيئاً من قوتك الذي تفطر عليه، فأنفذ له قليلاً من نخالة قد شواها وقال هذا فطوري فلما رأى سليمان ذلك بكا وأثر في قلبه الخشوع، فصام ثلاثة أيام وطوى لياليها، وأفطر الليلة الثالثة على تلك النخالة المشوية. فيقال إن في تلك الليلة تعشى أهله، فأكل منها عبد العزيز، وجاء منه عمر بن عبد العزيز أوحد زمانه في عدله وإنصافه وزهده وإحسانه. وكان عبد العزيز على طريقة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وقيل إن ذلك ببركة نيته وصيامه وأكله من ذلك الطعام.

وسئل عمر بن عبد العزيز رحمه الله، ما كان سبب توبتك؟ فقال: كنت يوماً أضرب غلاماً لي، فقال لي: أذكر تلك الليلة التي تكون صبيحتها القيامة. فعمل ذلك الكلام في قلبي.

ورأى بعض الأكابر هارون الرشيد في عرفات، وهو خاف حاسر قائم على الرمضاء الحارة، وقد رفع يديه وهو يقول: إلهي أنتَ أنت، وأنا أنا، دأبي كل يوم أن أعود إلى عصيانك، ودأبك أن تعود عليّ بمغفرتك ورحمتك. فقال: انظروا إلى تضرّع جبار الأرض بين يدي جبار السماء.

وسأل عمر بن عبد العزيز يوماً أبا حازم الموعظة. فقال له أبو حازم: إذا تمت فضع الموت تحت رأسك، وكلما تختار أن يأتيك الموت وأنت مصرّ عليك فالزمه، وكلما لا تريد أن يأتيك الموت وأنت عليه فاجتنبه، فربما كان الموت منك قريباً.

---

(١) الخليفة سليمان بن عبد الملك (٦٣ ـ ١٠١هـ) تولى الخلافة سنة ٩٩هـ.

فينبغي لصاحب الولاية أن يجعل هذه الحكاية نصب عينه، وأن يقبل المواعظ التي وعظ بها غيره فكلما رأى عالماً سأله أن يعظه.

وينبغي للعالم أن يعظ الملوك بمثل هذه المواعظ ولا يغرهم ولا يدّخر عنهم كلمة الحق وكل من غرّهم فهو مشارك لهم في ظلمهم.

***الأصل الثالث:*** أن لا تقنع برفع يدك عن الظالم. لكن تهذّب غلمانك وأصحابك وعمالك ونوابك ولا ترضى لهم بالظلم. فإنك تسأل عن ظلمهم كما تُسأل عن ظلم نفسك.

كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى عامله أبي موسى الأشعري، أما بعد... فإن أسعد الولاة من سعدت به رعيته، وأشقى الولاة من شقيت به رعيته، فإياك والتبسط فإن عمالك يقتدون بك. وإنما مثلك مثل دابة رأت مرعى مخضراً، فأكلت كثيراً حتى سمنت، فكان سمنها سبب هلاكها، لأنها بذلك السمن تذبح وتؤكل.

وفي التوراة مكتوب: كل ظلم علمه السلطان من عماله فسكت عنه كان ذلك منسوباً إليه وأخذ به وعوقب عليه.

وينبغي للوالي أن يعلم أنه ليس أحد أشد غبناً ممن باع دينه وآخرته بدنيا غيره. وأكثر الناس في خدمة شهواتهم، فإنهم يستنبطون الحيل ليصلوا إلى آدمي. وإن كان مقصودك أن تخدمك الناس فأنت جاهل في صورة عاقل، لأنك لو كنت عاقلاً، لعلمت أن الذين يخدمونك إنما هم خدم وغلمان لبطونهم وشهواتهم وفروجهم. وإنهم يجعلونك شركاً إلى تناول شهواتهم، وإن خدمتهم وسجودهم لأنفسهم لا لك. وعلامة ذلك أنهم لو سمعوا أرجافاً، بأن الولاية تؤخذ منك وتعطى لسواك لأعرضوا بأجمعهم عنك. وفي أي موضع علموا أن الدراهم والدنانير فيه، خدموا وسجدوا لذلك الموضع.

فعلى الحقيقة، ليست هذه خدمة وإنما هي مضحكة. والعاقل من نظر في ازدواج الأشياء وحقائقها ولم يغترّ بصورها. وحقيقة هذه الأعمال ما ذكرناه وأوضحناه فكل من لم يتيقن ذلك فليس بعاقل، ومن لم يكن عاقلاً لم يكن عادلاً ومقره النار. فلهذا السبب كان رأس مال السعادات كلها العقل.

*الأصل الرابع:* إن الوالي في الإغلب يكون متكبراً، ومن التكبر يحدث عليه السخط الداعي إلى الانتقام والغضب. والغضب غول العقل وعدوه وآفته. وقد ذكرنا ذلك في كتاب الغضب في ربع المهلكات. وإذا كان الغضب غالباً فينبغي أن تميل في الأمور إلى جانب العفو وتتعود الكرم والتجاوز، فإذا صار ذلك عادة لك ماثلت الأنبياء والأولياء، ومتى جعلت إمضاء الغضب عادة ماثلت السباع والدواب.

## حكايـة

أمر أبو جعفر المنصور بقتل رجل والمبارك بن الفضل[1] حاضراً فقال: ياأمير المؤمنين اسمع مني خبراً قبل أن تقتله. روى الحسن البصري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: إذا كان يوم القيامة وجمع الله الخلائق في صعيد واحد، نادى منادٍ من كان له عند الله يدٌ فليقم، فلا يقوم إلا من عفى عن الناس. فقال: أطلقوه فإني قد عفوت عنه.

وأكثر ما يكون غضب الولاة على من ذكرهم وطوّل لسانه عليهم فيسعون في سفك دمه.

قال عيسى بن مريم عليه السلام ليحيى بن زكريا: إذا ذكرك رجل بشيء وقال فيك صحيحاً فاشكر الله، وإن قال كذباً فازدد شكراً، فإنه

---

(١) المبارك بن الفضل من فضالة البصري، مولى قريش، وكان محدثاً ثقة ومن كبار النساك، توفي سنة ١٦٤هـ.

يزيد في ديوان أعمالك وأنت مستريح. يعني أن حسناته تكتب في ديوانك.

وذُكر عند رسول الله ﷺ فقيل إن فلاناً رجل شجاع. فقال كيف؟ فقالوا: يقوى بكل أحد وما صارع أحداً إلا صرعه. فقال عليه الصلاة والسلام: الشجاع من قهر نفسه، لا من صرع غيره.

وقال عليه السلام: ثلاثة من كانت فيه فقد كمل إيمانه. من كظم غيظه وأنصف في حال رضاه وغضبه وعفا عند المقدرة. وقال عمر ابن الخطاب: لا تعتمد على خلق رجلٍ حتى تجربه عند الغضب.

وخرج زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنه يوماً إلى المسجد، فسبّه رجل فقصده غلمانه ليضربوه ويؤذوه، فنهاهم زين العابدين عنه وقال: كفوا أيدكم عنه ثم التفت إلى ذلك الرجل وقال: ياهذا أنا أكثر مما تقول وما لا تعرفه مني أكثر مما قد عرفته. فإن كان لك حاجة إلى ذكره ذكرته لك. فخجل الرجل واستحى. فخلع عليه زين العابدين قميصه وأمر له بألف درهم. فمضى الرجل وهو يقول: أشهد أن هذا الشاب ولد رسول الله ﷺ.

روى أن زين العابدين استدعى غلاماً له وناداه مرتين فلم يجبه. فقال له: أما سمعت ندائي قال: بلى. قال: فلمَ لا تجيبني؟ قال: أمنت منك وعرفت طهارة أخلاقك. فقال: الحمد لله الذي أمن مني عبدي. وروى عنه أيضاً أن له غلام فعمد إلى شاة فكسر رجلها، فقال له: لم فعلت ذلك؟ فقال: كسرتها عمداً لأغيظك فقال: يغضبني وأنا أغيظ الذي علمك، وهو إبليس. اذهب فأنت حرّ لوجه الله تعالى.

وروى أن رجلاً سبه فقال له زين العابدين: ياهذا بيني وبين جهنم

عقبة، إن أنا أجزتها فما أبالي بما قلت. وإن أنا لم أجزها فأنا أكثر مما تقول.

وقال رسول الله ﷺ: قد يبلغ الرجل بحلمه وعفوه درجة الصائم القائم، ويكون رجلاً يكتب في درجة الجائرين ولا ولاية له ولا حكم إلا على أهل منزله.

وقال عليه السلام: لجهنم باب لا يدخلها إلا من اتبع غضبه بما يخالف الشرع. ويروى أن إبليس لعنه الله رأى موسى، أعلمك ثلاثة أشياء وتطلب لي من ربي حاجة. فقال موسى عليه السلام: وما الثلاثة؟ فقال: ياموسى، احذر من الحسد والغضب والحرد. فان الحسود يكون خفيف الرأس، وأنا ألعب به كما يلعب الصبيان بالكرة واحذر من البخل، فإنه أفسد على البخيل دينه ودنياه. واحذر من النساء فإني ما نصبت للخلق شركاً اعتمد عليه مثل النساء.

وقال رسول الله ﷺ: من كظم غيظه وهو قادر على أن لا يكظمه ملأ الله قلبه بالأمن والإيمان. ومن لم يلبس ثوباً طويلاً خوفاً من التكبر والخيلاء وقد أطاع الله، ألبسه الله تعالى حلل الكرامة.

وقال عليه السلام: ويل لمن يغضب وينسى غضب الله تعالى عليه. وجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: علمني عملاً أدخل به الجنة، قال: لا تغضب. فقال: وماذا. قال: استغفر بعد صلاة العصر سبعين مرة ليكفر عنك ذنوب سبعين سنة. فقال: ما لي ذنوب سبعين سنة فقال: لأمك، قال: ما لأمي ذنوب سبعين سنة. قال: لأبيك. قال: وما لأبي ذنوب سبعين سنة، قال لأخوتك. قال: نعم.

وروى ابن مسعود أن رسول الله ﷺ كان يوماً يقسم مالاً فقال رجل: ما هذه القسمة لله ـ يعني ليست بإنصاف ـ فحكى ذلك لرسول

الله، فغضب واحمرّ وجهه ولم يقل شيئاً سوى أن قال: رحم الله أخي موسى، فإنه أوذي فصبر على الأذى.

وهذه الجملة من الحكايات والأخبار تقع في نصيحة الولاة، إذا كان أصل إيمانهم ثابتاً أثر فيهم ذلك. فإن لم يؤثر ما ذكرناه فيهم فسبب ذلك خلوّ قلوبهم من الإيمان، وأن ما بقي من إيمانهم إلا الحديث باللسان.

***الأصل الخامس:*** إنك في واقعة تصل إليك وتعرض عليك تقدر أنك واحد من الرعية، وأن الوالي سواك. فكل ما لا ترضاه لنفسك لا ترضى به لأحد من المسلمين. وإن رضيت به لهم فقد خنت وغششت أهل ولايتك.

ويروى أن رسول الله ﷺ كان قاعداً يوم بدر في ظل، فهبط جبرائيل عليه السلام وقال: يامحمد أتقعد في الظل وأصحابك في الشمس. فعوتب بهذا القدر. وقال رسول الله ﷺ من أحب النجاة من النار والدخول إلى الجنة، فعسى أن يكون بحيث إذا جاء الموت وجد كلمة الشهادة، وكل ما لا يرضى به لنفسه لا يرضاه لأحد من المسلمين. وقال عليه السلام: من أصبح وفي قلبه هم سوى الله، فليس من الله في شيء، ومن لم يشفق على المسلمين فليس منهم.

***الأصل السادس:*** أن لا تحتقر انتظار أرباب الحوائج ووقوفهم ببابك. واحذر من هذا الخطر. ومهما كان للمسلمين إليك حاجة فلا تشتغل عن قضائها بنوافل العبادات، فإن قضاء حوائج المسلمين أفضل من نوافل العبادات.

وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يوماً يقضي حوائج الناس. فجلس إلى الظهر فتعب، ودخل بيته ليستريح من تعبه، فقال له ولده:

ما الذي يؤمنك أن يأتيك الموت في هذه الساعة وعلى بابك منتظر حاجة، وأنت مقصّر في حقه. فقال: صدقت يا ولدي، ونهض فعاد إلى مجلسه.

*الأصل السابع*: إنك لا تعوّد نفسك بالشهوات من لبس الثياب الفاخرة، وأكل الأطعمة الطيبة، لكن تستعمل القناعة في جميع الأشياء، فلا عدل بلا قناعة.

سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعض الصالحين وقال: هل رأيت من أحوالي شيئاً كرهته؟ فقال: سمعت أنك وضعت رغيفين على مائدتك، وإن لك قميصين، أحدهما لليل والآخر للنهار. فقال: أغير هذين شيء؟ قال: لا. فقال: والله أن هذين لا يكونان.

*الأصل الثامن*: إنه مهما أمكنك أن تعمل الأمور بالرفق واللطف فلا تعملها بالشدة والعنف. قال رسول الله ﷺ: كل والٍ لا يرفق برعيته لا يرفق الله به يوم القيامة. ودعا عليه السلام فقال: اللهم الطف بكل والٍ يلطف برعيته، وأعنف كل والٍ يعنف رعيته. وقال عليه السلام: الولاية والإمارة حسنتان لمن قام بحقهما، وسيئتان لمن قصّر فيهما.

كان هشام بن عبد الملك من خلفاء بني أمية فسأل يوماً أبا حازم، وكان من العلماء فقال: ما التدبير في النجاة من أمور الخلافة؟ قال: أن تأخذ كل درهم تأخذه من وجه حلال، وأن تضعه في موضع حق. فقال: ومن يقدر على هذا. قال: من يرغب في نعيم الجنان، ويرهب من عذاب النيران.

*الأصل التاسع*: أن تجتهد أن ترضي عنك جميع رعيتك بموافقة

الشرع. قال رسول الله ﷺ لأصحابه: خير أمتي الذين يحبونكم وتحبونهم، وشر أمتي الذين يبغضونكم وتبغضونهم ويلعنونكم وتلعنونهم.

وينبغي للوالي أن لا يغتر بكل من وصل إليه وأثنى عليه، ويعتقد أن جميع الرعية راضون عنه، فإن الذي يثني عليه من خوفه منه يثني عليه.

بل ينبغي أن يرتب معتمدين ليسألوا عن أحواله من الرعية ويتجسسون، ليعلم عيبه من ألسنة الناس.

*الأصل العاشر*: أن لا يطلب رضا أحد من الناس بمخالفة الشرع. فإن من سخط بخلاف الشرع لا يضر سخطه.

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: إنني أصبح كل يوم ونصف الخلق عليّ ساخطون. ولابد لكل من يؤخذ منه الحق أن يسخط. ولا يمكن أن يرضي الخصمان. وأكثر الناس جهلاً من ترك رضا الحق لأجل رضا الخلق.

كتب معاوية إلى عائشة رضي الله عنها أن عظيني عظة مختصرة. فكتبت إليه تقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من أرضى الله في سخط الناس رضي الله عنه، وأرضى عنه الناس. ومن طلب رضى الناس بسخط الله عليه مثل أن لا يأمرهم بالطاعة ولا يعلمهم أمور دينهم ويطعمهم الحرام، ويمنع الأجير أجره والمرأة حقها، سخط الله عليه وأسخط عليه الناس.

## ٣ ـ بيان العينين اللتين بهما مشرب شجرة الإيمان

فإذا عرفت أصول شجرة الإيمان وعلمت فروعها، فاعلم أن هناك عينين تستمد الشجرة منها الماء.

### العين الأولى:

معرفة الدنيا وماهيتها، ولم وجد فيها الإنسان.

واعلم أيها السلطان إن الدنيا منزلة وليست بدار قرار، والإنسان فيها على صورة مسافر، فأول منازله بطن أمه، وآخر منازله لحد قبره. وإنما وطنه وقراره ومكثه واستقراره بعدها فكل سنة تنقضي من عمر الإنسان فكالمرحلة، وكل شهر ينقضي عنه كاستراحة المسافر في سفره، وكل أسبوع كقرية يلقاها في طريقه، وكل يوم كفرسخ يقطعه، وكل نفس كخطوة يخطوها. وبقدر كل نفس يتنفسه يقرب من الآخرة. وهذه الدنيا قنطرة، فمن عبر القنطرة واشتغل بعمارتها فنى زمانه فيها ونسي المنزلة التي إليها مصيره وهي مكانه، وكان جاهلاً غير عاقل. وإنما العاقل الذي لا يشتغل ومهما جمعه منها فوق كفايته كان سماً قاتلاً ويتمنى أن تكون خزائنه وسائر ذخائره رماداً أو تراباً لا فضة ولا ذهباً، ولو جمع منها مهما جمع، فإنما يصيبه ما يأكله ويلبسه ويتصدق به لسواه. وجميع ما يخلفه يكون عليه حسرة وندامة، ويصعب عليه نزعه عند موته، فلحلالها حساب ولحرامها عقاب.

وإن كان قد جمع المال من حلال، طُلب منه الحساب عليه، وإن كان قد جمعه من حرام وجب عليه العقاب، وكان أشد عليه من حسرته حلول العذاب به في حفرته.

ومع هذا جميعه، إذا كان إيمانه صحيحاً سالماً بحضرة الديّان فلا وجه ليأسه من الرحمة والرضوان. فإن الله غفور رحيم جواد كريم.

واعلم أيها السلطان، إن راحة الدنيا أيام قلائل، وأكثرها منغص بالتعب ومشوب بالنصب، وبسببها تفوت راحة الآخرة التي هي الدائمة الباقية، والملك الى لا فناء له ولا نهاية. فسهل على العاقل أن يصبر في هذه الأيام القلائل لينال راحة دائمة بلا انقضاء.

## نكتة

لو كان للإنسان معشوقة وقيل له إن كنت في هذه الليلة تزورها فإنك لا تعود تراها أبداً، وإن صبرت عنها في هذه الليلة سلّمت لك ألف ليلة بلا تعب ولا نصب. فإنه وإن كان عشقه لها عظيماً وصبره عنها أليماً لكان يهون عليه صبره على البعد عنها ليلة واحدة لينال قربها ألف ليلة. وهذه الدنيا ليست واحدة من ألف من مدة الآخرة، بل ليست بشيء من جنب الآخرة ولا شبه بينهما، لأن الآخرة لا نهاية لها، ولا يدرك بالوهم طولها.

وقد أفردنا في صفة الدنيا كتاباً، لكننا نقنع الآن بما نورده من أحوال الدنيا. وقد أوضحنا حالها على عشرة أمثلة وبالله التوفيق.

*المثال الأول:* في سحر الدنيا قال رسول الله ﷺ احذروا الدنيا، فإنها أسحر من هاروت وماروت[1]. وأول سحرها تريك أنها ساكنة عندك، مستقرة معك، وإذا تأملتها خلتها ساكنة، وهي هاربة منك نافرة عنك على الدوام، دائماً تتسلسل على التدريج ذرة ذرة ونفساً نفساً.

ومثل الدنيا كمثل الظل، إذا رأيته حسبته ساكناً وهو يمر دائماً. فكذلك عمر الإنسان يمر بالتدريج على الدوام وينقص كل لحظة. وكذلك الدنيا تودعك وتهرب منك وأنت غافل لا تخبر وذاهل لا تشعر.

---

(١) ورد ذكرهما في القرآن، سورة البقرة، الآية ١٠٢. وكانا من كبار السحرة والمشعوذين الذين ضللوا الناس وخدعوهم.

*المثال الثاني:* ومن سحرها أنها تظهر لك محبة لتعشقها، وتريك أنها مساعدة لك وأنها لا تنتقل من عندك إلى غيرك، ثم تعود عدوة لك على غفلة. ومثلها كمثل امرأة فاجرة خداعة للرجال، حتى إذا عشقوها دعتهم إلى بيتها فاغتالتهم وأهلكتهم.

## نكتة

رأى عيسى عليه السلام الدنيا في مكاشفاته وهي على صورة عجوز هرمة فقال لها: كم كان لك من زوج؟ فقالت: لا يحصون لكثرتهم. فقال: ماتوا عنك أم طلقوك؟ فقال: بل أنا قتلتهم وأفنيتهم. فقال: واعجباً لهؤلاء الحمقى الآخرين الذين يشاهدون ما بسهواهم صنعت وهم فيك يرغبون، وعليك يقتتلون، وبغيرهم لا يعتبرون.

*المثال الثالث:* ومن سحرها أنها تزين ظاهرها بمحاسنها، وتخفي محنها ومقابحها في باطنها لتغر الجاهل بما يرى من ظاهرها. ومثلها مثل عجوز قبيحة المنظر، تخفي وجهها وتلبس أحسن الثياب وتتزين وتتجمل لتفتن الخلق من بعيد، فإذا كشفوا غطاءها أو خمارها وألقوا عنها إزارها، ندموا على محبتها لما شاهدوا من فضائحها وعاينوا من قبائحها.

وقد جاء في الخبر أن الدنيا يؤتى بها يوم القيامة، في صورة عجوز قبيحة مشوهة زرقاء العين وحشة الوجه قد فتحت فاها وكشّرت عن أنيابها، فإذا رآها الخلائق قالوا: نعوذ بالله من هذه القبيحة المشوهة. فيقال لهم: هذه الدنيا التي كنتم عليها تتحاسدون، ولأجلها كنتم تتحاقدون وتسفكون الدماء بغير حق، وتقطعون أرحامكم وتغترون بزخرفها. ثم يؤمر بها إلى النار فتقول: إلهي أين أحبابي؟ فيؤمر بهم فيلقون معها في النار.

*المثال الرابع*: أن يحسب الإنسان كم كان في الأزل قبل أن يوجد في الدنيا؟ وكم يكون مدة عدمه بالموت؟ وكم قدر هذه المدة التي تكون بين الأزل والأبد؟ وهي مدة حياته في الدنيا. فيعلم أن مثال الدنيا كطريق المسافر أوله المهد وآخره اللحد، وفيما بينهما منازل معدودة. وإن كل سنة كمنزل، وكل شهر كفرسخ، وكل يوم كميل وكل نفس كخطوة وهو يسير دائماً. فيبقى لواحد في طريقه فرسخ ولآخر أقل وآخر أكثر، وهو قاعد ذاهل وساكن غافل كأنه مقيم لا يبرح، وقاطن لا ينزح. وقد اشتغل بتدبير أعمال لا يحتاج إليها بعد عشرين سنة، وربما يحصل بعد عشرة أيام التراب.

*المثال الخامس*: اعلم أن مثل الدنيا وما يحتقب أهلها فيها بشهواتهم ولذاتهم من الفضائح التي يشاهدونها في الآخرة، كمثل إنسان أكل فوق حاجته من طعام حلو سمين، إلى أن شكا هضمه وهاضت معدته. فرأى فضيحة من خلال معدته ونتونة نفسه وكثرة برازه وحاجته، فندم بعد ذهاب لذته وبقاء فضيحته. وكذلك كما ألف الإنسان لذات الدنيا كانت عاقبته أصعب. ويبتلى بذلك عند نزع روحه وخروجها من بدنه، لأن كل من كانت له نعم كثيرة وذهب وفضة وجوار وغلمان وكرم وبستان، كان ألم فراق روحه عليه أصعب من ألم من ليس له إلا القليل. فإن ذلك الألم والعذاب لا يزول بالموت بل يزيد بالموت، لأن تلك المحبة صفة القلب بحاله لا يموت.

*المثال السادس*: اعلم أيها السلطان أن أمور الدنيا أول ما تبدو فيظنها الإنسان قريبة مختصرة، ويخال أن شغلها لا يطول وربما كان من بعض أشغالها وأحوالها أمر يتسلسل منه مائة أمر وينفق فيه بضاعة العمر.

قال عيسى عليه السلام: طالب الدنيا كشارب ماء البحر، كلما ازداد شرباً ازداد عطشاً. فلا يزال يشرب منه إلى أن يهلك ولا يروى.

وقال النبي ﷺ: كما لا يمكن لمن خاض البحر أن لا يناله البلل، كذلك لا يمكن من دخل في أمور الدنيا لا يتدنس.

***المثال السابع:*** مثل من حصل في الدنيا كمثل ضيف دعي إلى مائدة، وعادة المضيف أن يزين داره للأضياف، ثم يدعو إليها قوماً بعد قوم وفوجاً بعد فوج. ويضع بين يدي أضيافه طبقاً من ذهب مملوءاً بالجواهر، ومبخرة من فضة فيها عود وبخور ليتطيبوا ويتبخروا وينالهم طيب رائحتها. ثم يغادرون الطبق والمبخرة بحالهما لمالكهما ليدعو غيرهم كما دعاهم. فمن كان عاقلاً عارفاً برسم الدعوات، وضع ذلك البخور على النار وتطيب وانطلق ولم يطمع أن يتناول المبخرة والطبق وتركهما بطيبة من قلبه وشكر لصاحب البيت وانصرف راشداً.

ومن كان أحمق أبله توهم أن ذلك الطبق والمبخرة قد أعدا له، وأنهم يريدون أن يهبوهما له. فلما هم بالخروج من الدار أخذ الطبق والمبخرة فاستعادوهما منه، فضاق صدره وتعب قلبه، وطلب الإقالة إذ ظهر ذنبه.

فالدنيا كمثل دار الضيافة ليتزودوا منها لطريقهم، ولا يطمعوا بما في الدار.

***المثال الثامن:*** مثل أهل الدنيا واشتغالهم بأشغالها واهتمامهم بأحوالها ونسيان الآخرة وإهمالها، كمثل قوم ركبوا مركبا في البحر، فعدلوا إلى جزيرة لأجل الطهارة، وقضاء الحاجة. فنزلوا إلى الجزيرة والملاح يناديهم لا تطيلوا المكث لئلا يفوت الوقت، ولا تشتغلوا بغير الوضوء

والصلوات، فإن المركب سائرة. فمضوا وتفرقوا في الجزيرة وانتشروا في نواحيها. فالعقلاء منهم لم يمكثوا وأسرعوا في الطهارة وعادوا إلى المركب، فأصابوا الأماكن خالية، فجلسوا في أظهر أماكن وأرفعها، وأطيب مواضع وأوفقها. ومنهم قوم نظروا إلى عجائب تلك الجزيرة ووقفوا يتنزهون في زهرها وأثمارها وروضاتها وأشجارها، ويسمعون طيب ترنّم أطيارها. ويتعجبون من حصاها الملونة وأحجارها. فلما عادوا إلى المركب لم يجدوا فيه موضعا، ولا زاوية متسعا، فقعدوا في أضيق مواضعه وأظلمها ومنهم قوم لم يقنعوا بالنزهة ولم يقتصروا على الفرجة لكنهم جمعوا من تلك الحصباء الملونة، وحملوها معهم إلى المركب فلم يجدوا مكانا، فقعدوا في أضيق المواضع وحملوا ما استصحبوه من تلك الحجارة على أعناقهم، ولم يمض يوم أو يومان حتى تغيرت ألوان تلك الحجارة واسودت، وفاحت منها أكره رائحة. فلم يجدوا مخلّصا من الزحام ليلقوا ثقلها عن أعناقهم، فندموا على ما فعلوا إذا كانوا بتحصيلها اشتغلوا. ومنهم قوم وقفوا مع عجائب تلك الجزيرة وتحيروا في الرجوع، ولم يتفكروا حتى سار المركب فبعدوا عنه وانقطعوا في أماكنهم وتخلفوا، إذ لم يصيحوا إلى المنادي ولم يسمعوا. فمنهم من هلك من الجوع ومنهم أكلته السباع ونهشته الضباع.

فالقوم المتقدمون هم المؤمنون المتقون، والقوم المتخلفون الهالكون هم الكفار والمشركون الذين نسوا الله ونسوا الآخرة وسلّموا كليتهم إلى الدنيا وركنوا إليها ـ كما قال جل جلاله: «ذلك بأنهم استحبّوا الحياة الدنيا على الآخرة». واطمأنوا بها ـ وأما الجماعة المتوسطون فهم العصاة الذين حفظوا أصل الإيمان ولم يكفوا أيديهم عن الدنيا، فمنهم من تمتع

بغناه ونعمته، ومنهم من تمتع مع فقره وحاجته إلى أن نقلت أورارهم وكثرت أوساخهم وأوضارهم.

*المثال التاسع:* روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوماً: يا أبا هريرة، تريد أن أريك الدنيا؟ فقلت: نعم يارسول الله. فأخذ بيدي وانطلق حتى وقف على مزبلة فيها رؤوس من الآدميين ملقاة، وبقايا عظام نخرة وخرق قد تمزقت وتلوثت بنجاسات الآدميين. فقال: ياأبا هريرة هذه رؤوس الناس التي تراها، كانت مثل رؤوسكم مملوءة من الحرص والاجتهاد على جمع الدنيا. وكانوا يرجون من طول الأعمار ما ترجون، وكانوا يجدّون في جمع المال وعمارة الدنيا كما تجدّون، فاليوم قد نخرت عظامهم وتلاشت أجسادهم كما ترى. وهذه الخرق أثوابهم التي كانوا يتزينون بها وقت الرعونة والتزين، فاليوم قد ألقتها الريح في النجاسات. وهذه عظام دوابهم التي كانوا يطوفون عليها أقطار الأرض. وهذه النجاسات كانت أطعمتهم اللذيذة التي كانوا يحتالون في تحصيلها، وينهبها بعضهم من بعض قد ألقوها عنهم بهذه الفضيحة التي لا يقرّ بها أحد من نتنها.

فهذه جملة أحوال الدنيا كما تشاهد وترى. فمن أراد أن يبكي على الدنيا فليبك، فإنها موضع البكاء. قال أبو هريرة: فبكى جملة الحاضرين.

*المثال العاشر:* كان في زمن عيسى عليه السلام ثلاثة أنفار سائرين في طريق، فوجدوا كنزاً فقالوا: قد جعنا، فليمض أحدنا يشترى لنا طعاماً. فمضى أحدهم ليأتيهم بطعام فقال: الصواب أن أجعل لهما في الطعام سماً قاتلاً ليأكلاه فيموتان وانفرد بالكنز دونهما. ففعل ذلك وسم

الطعام. واتفق الرجلان أنه إذا وصل إليهما بالطعام قتلاه وانفردا بالكنز دونه. فلما وصل الطعام قتلاه ثم أكلا من الطعام فماتا، فاجتاز عيسى بن مريم بذلك المكان، فقال للحواريين هذه الدنيا فانظروا كيف قتلت هؤلاء وبقيت بعدهم. ويل لطالب الدنيا.

كما يسمع في الأخبار، السلطان ظل الله في أرضه. فينبغي أن تعلم أن من أعطاه الله درجة الملك وجعله ظله في أرضه فإنه يجب على الخلق محبته، ويلزمهم متابعته وطاعته، ولا يجوز لهم معصيته ومنازعته. قال الله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله الرسول وأولى الأمر منكم».

فينبغي على كل من آتاه الله الدين أن يحب الملوك والسلاطين، وأن يطيعهم فيما يأمرون، ويعلم أن الله تعالى يعطي السلطنة والمملكة وأنه يؤتي ملكه من يشاء. وقوله تعالى: «قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء، وتعزّ من تشاء وتذل من تشاء. بيدك الخير إنك على كل شيء قدير».

## ٤ ـ في العدل والسياسة وذكر الملوك وسيرهم

اعلم وتيقن أن الله جل اسمه اختار من بني آدم فريقين وهم: الأنبياء عليهم السلام، والملوك. فأما الأنبياء فأرسلهم ليبينوا للعباد على عبادته الدليل، ويوضحوا لهم إلى معرفته السبيل. واختار الملوك ليحفظوا العباد من اعتداء بعضهم على بعض وملكهم أزمة الظالم شؤم لا يبقى ملكه ولا يدوم لأن النبي ﷺ يقول: المُلك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم. وفي التواريخ أن المجوس ملكوا أمور العالم أربعة آلاف سنة وكان الملك فيهم. وإنما دامت لهم المملكة بعدلهم بين الرعية

وحفظهم الأمور. وإنهم كانوا يرون الجور والظلم في ملتهم غير جائز. وعمروا بعدلهم البلاد وأنصفوا العباد. وقد جاء في الخبر أن الله جل جلاله وتقدست أسماؤه أوحى إلى داود عليه السلام أن إنه قومك عن سب ملوك العجم، فإنهم عمروا بلادي وأرطنوها عبادي.

فينبغي أن تعلم أن عمارة الدنيا وخرابها من الملوك. فإذا كان السلطان عادلاً عمرت الدنيا وأمنت الرعايا كما كانت في عهد ازدشير[1].

## حكايـــة

كان موسى عليه السلام يناجي ربه على الطور فقال في مناجاته: إلهي أرني عدلك وإنصافك. فقال له: يا موسى أنت رجل جاد وجرئ، لا تقدر أن تصبر فقال: أقدر على الصبر بتوفيقك. فقال: اقصد العين الفلانية واختف بازائها، وانظر إلى قدرتي وعلمي بالغيوب. فمضى موسى عليه السلام، وصعد إلى تل وقعد متخفياً وإذا بفارس قد أتى ونزل عن فرسه وتوضأ من العين وشرب منها وحلّ من وسطه همیان فيه ألف دينار ذهب ووضعه إلى جانبه، وصلى ثم ركب ونسي الهميان في مكانه ومضى. فجاء بعده صبي صغير فشرب من الماء وأخذ الهميان ومضى. فجاء بعد الصبي شيخ أعمى فشرب من الماء وتوضأ ووقف في الصلاة فإذا بالفارس ذكر الهميان، فعاد من طريقه إلى العين فوجد الشيخ الأعمى فلزمه وقال له: إني نسيت همياناً فيه ألف دينار ذهب، وما جاء إلى هذا المكان أحد سواك فقال له الشيخ: أنا رجل أعمى كيف

---

(١) هو ازدشير بن بابك من بني ساسان، عمل بخدمة جوزهر ملك اصطخر، فعظم شانه وتمكن من قتل سيده جوزهر وأخذ تاجه. وقام بفتوحات عديدة ودانت له جميع مدن فارس، واشتهر بعدله وإنصافه، انظر تاريخ الطبري، ١/ ٤٧٦ ـ ٤٨١؛ وتاريخ ابن الأثير ١/ ٢٢١.

أبصر همیانك. ففضب الفارس من ذلك وجرّد سيفه وضرب به الأعمى فقتله وفتشه فلم يجد الهميان، فتركه ومضى.

فقال موسى عليه السلام: إلهي قد نفد صبري وأنت عادل، فعرفني كيف هذه الأحوال؟ فهبط جبريل عليه السلام وقال له: الباري جلت قدرته يقرئك السلم ويقول لك: أنا علام الغيوب، أعلم الأسرار وأعلم ما لا تعلم.

أما الصغير الذي أخذ الهميان فإنه أخذ حقه، وكان أبو هذا الصغير أجيراً لذلك الفارس واجتمع له عنده بقدر ما في الهميان، ولم يوصله إياه ومات أبو الصبي فالآن فقد وصل الصبي حقه.

أما ذلك الشيخ الأعمى فإنه قبل أن يعمى قتل أبا ذلك الفارس، فقد اقتص منه ووصل كل ذي حقه. وإنصافنا دقيق كما ترى.

فلما علم موسى ذلك تحير واستغفر.

وهذه الحكاية أوردناها ليعلم العقلاء أن الله جل ذكره لا يخفى عليه شيء، وأنه ينصف المظلوم في الدنيا والآخرة. ولكن نحن غافلون إذا جاءنا البلاء لا نعلم من أين جاء.

سئل ذو القرنين أي شيء من مملكتك أنت فيه أكثر سروراً. فقال شيئين: أحدهما، العدل والإنصاف. والثاني، أن أكافئ من أحسن إليّ بأكثر من إحسانه.

وقال النبي ﷺ: إن الله يحب الإحسان في كل شيء حتى أنه يحب إنساناً ذبح شاة فحدّ لها المدية ليعجل خلاصها من ألم الذبح.

وقال عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: لم يخلق الله

تعالى فى الأرض شيئاً أفضل من العدل. والعدل ميزان الله فى أرضه فمن تعلق به أوصله إلى الجنة.

وعن ابن عمر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن للمحسنين منازل فى الجنة حتى المحسن إلى أهله وأتباعه. وقال قتادة فى تفسير هذه الآية: ألا تطغوا فى الميزان. قال أراد به العدل. فقال: يا ابن آدم، اعدل كما تحب أن يُعدل فيك.

وعن ابن عمر رضى الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: إن الله تعالى لما أهبط آدم عليه السلام إلى الأرض أوحى إليه أربع كلمات فقال: يا آدم علمك وعلم ذريتك على هذه الكلمات وهى: كلمة لى وكلمة لك. وكلمة بينى وبينك. وكلمة بينك وبين الناس. أما الكلمة التى لى فهى أن تعبدنى ولا تشرك بى شيئا. وأما الكلمة التى لك فإنى أجازيك بعملك. وأما التى بينى وبينك، فمنك الدعاء ومنى الإجابة. وأما التى بينك وبين الناس، فهو أن تعدل فيهم وتنصف بينهم.

قال قتادة: الظلم ثلاثة أضرب. ظلم لا يغفر لصاحبه، وهو الشرك بالله تعالى. قال تعالى: «إن الشرك لظلم عظيم». وظلم لا يدوم فهو ظلم العباد بعضهم لبعض. وظلم يُغفر لصاحبه، فهو ظلم العبد لنفسه بارتكاب الذنوب، ثم يرجع إلى ربه ويتوب. فإن الله تعالى ومنه.

وينبغى أن يكون الملك ديناً محباً للدين. فالدين والملك توأمان مثل أخوين ولدا فى بطن واحد. فيجب أن يهتم الملك بأمور الدين ويؤدى الفرائض فى أوقاتها ويتجنب الهوى والبدعة والمنكر والشبهة وكل ما يرجع بنقصان الشرع. وأن علم أن ولايته من يتهم بدينه ومذهبه أمر بإحضاره وتهديده وزجره ووعيده. فإن تاب وأناب سلم، وإلا وقع عليه

العقاب ونفاه عن ولايته، ليطهّر الولاية من أعوانه وبدعته وتخلو من أهل الأهواء. ويعز الإسلام ويستديم عمارة الثغور بإنفاذ العساكر والحماة إليها ويجتهد في إعزاز الحق وإعادة رونق السنة النبوية والسيرة المرضية، لتحمد عند الله طريقته، وتعظم في الخلق هيبته وتخاف سطوته أعداؤه، ويعلو قدره وبهاؤه ومنزلته ويكبر في عين أضداده، ويعظم عند أنداده. ويجب أن يعلم أن صلاح الناس في حسن سيرة الملك.

فينبغي للملك أن ينظر في أمور الرعية. ويقف على قليلها وكثيرها وعظيمها وحقيرها ولا يشارك رعيته في الأشياء المذمومة والأفعال المشؤومة. ويحب عليه احترام الصالحين وأن يثيب على الفعل الجميل ويمنع عن الفعل الرديء الوبيل. ويعاقب على ارتكاب القبيح ولا يحابي من أصرّ على المعصية، ليرغب الناس في الخيرات ويحذروا من السيئات. ومتى كان السلطان بلا سياسة، وكان لا ينهى المفسد عن فساده ويتركه على مراده، أفسد أموره في سائر بلاده.

وقالت الحكماء: إن طباع الرعية نتيجة طباع الملوك، لأن العامة يخلّون ويرتكبون الفساد اقتداء منهم بملوكهم، فإنهم يتعلمون منهم ويلزمون طباعهم. ألا ترى في التاريخ أن الوليد بن عبد الملك من بني أمية كانت همته في العمارة والزراعة. وكان سليمان بن عبد الملك همته في كثرة الأكل وتطيب المطعم، وقضاء الأوطار وبلوغ الشهوات. وكانت همة عمر بن عبد العزيز في العبادة والزهد.

وقال محمد بن علي بن الفضل: ما كنت أعلم أن أمور الرعية تجري على عادة ملوكها، حتى رأيت الناس في أيام الوليد بن عبد الملك قد اشتغلوا بعمارة الكروم والبساتين واهتموا ببناء الدور وعمارة القصور.

ورأيتهم في زمان سليمان أخيه قد اهتموا بكثرة الأكل وطيب الطعام، حتى كان الرجل يسأل صاحبه أي لون اصطنعت. وما الذي أتيت؟ ورأيتهم في أيام عمر بن عبد العزيز قد اشتغلوا بالعبادة، وتفرغوا لتلاوة القرآن وأعمال الخيرات وإعطاء الصدقات. لتعلم أن في كل زمان تقتدي الرعية بالسلطان ويعملون كأعماله ويقتدون بأفعاله من القبيح والجميل واتباع الشهوات وإدراك الإرادات كما جاء في الحكاية.

## حكايـة

ذكروا أنه في زمن كسرى أنو شروان الملك العادل ابتاع رجل من رجل أرضاً فوجد فيها كنزاً. فمضى إلى البائع وأخبره بذلك، فقال البائع: إنما بعتك أرضاً بما فيها، والذي وجدته فهو لك ومبارك عليك. فقال المشتري لا أريده ولا أطمع فيه. فترافعا بهذه الدعوى إلى الملك العادل. ففرح كسرى أنو شروان بذلك وقال لهما: هل لكما أولاد؟ فقال أحدهما: لي ابن. وقال الآخر: لي بنت. فقال كسرى أنو شروان: أحب أن يكون بينكما قرابة وصلة، وأن تزوجا الابن والبنت وتنفقا هذا الكنز في جهازهما ليكون لكما ولولديكم. ففعلا ما أمرهما وتراضيا بما رسم. والآن لو كان الرجلان في زمن ملك جائر لقال كل واحد منهما: الكنز لي. ولكنهما لما علما أن ملكهما عادل طلبا الحق وآثرا الصدق.

وقال الحكماء: الملك كالسوق فكل أحد يحمل إلى السوق ما يعلم أنه نافق. وما يعلم أنه كاسد لا يحمله إلى ذلك السوق.

والرجلان اللذان وجدا الكنز وترافعا إلى السلطان علما أن الزهد

والعدل والصدق يعز عند ذلك السلطان وأن الحق له عنده نفاق، فلذلك حملاه إليه وعرضاه عليه.

## حكاية

كان لأنو شروان كرم يعرف بهزار، فاجتمع فيه يوماً قيصر ملك الروم ويعفور ملك الهند وأنو شروان. في ضيافة الملك العادل أنو شروان فتكلم كل منهم كلمة حكمة. فقال قيصر: ليس شيء في هذه الدنيا أجود من فعل الخير والاسم الصالح والذكر الطيب؛ فإن صاحبه يذكر به دائماً، فيقال بعده لم لا نكون نحن مثله؟ فقال أنو شروان: تعالوا نحن نفعل الخير ونتفكر في الخير. فقال قيصر: إذا تفكرت في الخير عملت الخير، وإذا عملت الخير نلت المراد فقال يعفور: أعاذنا الله من فكرة إن نحن أظهرناها واستحيينا وإن ذكرناها خجلنا، وإن أخفيناها ندمنا. وقال قيصر لأنو شروان: أي شيء أحب إليك؟ فقال: أحب الأشياء إليّ أن أقضي حاجة من أرادني لقضاء حاجته. فقال قيصر: أنا أحب أن لا أذنب حتى لا أخاف.

انظر كيف كانت سيرتهم مع رعيتهم ياسلطان الإسلام. يجب أن تسمع أقوال هؤلاء الملوك وتنظر أعمالهم وتقرأ حكاياتهم في الكتب وما سطّر فيها من نعت عدلهم وإنصافهم وحسن سيرتهم وطيب خبرهم وذكرهم الجاري على ألسنة الخلق إلى يوم القيامة.

كان لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه من العدل والسياسة إلى حد أقام فيه الحد والعقاب على ولده حتى مات. وكان إذا أنفذ عمالاً إلى أعمال قال لهم: اشتروا دوابكم وأسلحتكم من أرزاقكم ولا تمدوا أيديكم إلى بيت مال المسلمين. ولا تغلقوا أبوابكم دون أرباب الحوائج.

وقال عبد الرحمن بن عوف: دعاني أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذات ليلة وقال: قد نزل بباب المدينة قافلة وأخاف عليهم إذا ناموا أن يسرق شيء من متاعهم فمضيت معه. فلما وصلنا قال لي: نم أنت. ثم إنه أخذ يحرس القافلة طول ليلته.

وقال عمر رضي الله عنه: يجب علي أن أسافر لأقضي حوائج المسلمين في أقطار الأرض، لأن بها ضعفاء لا يقدرون على قصدي في حوائجهم لبعد المكان. وينبغي أن أطوف في البلاد لأشاهد أحوال العمال وأسير سيرتهم فلا يكون في سنيّ عمر أبرك من هذه السنة.

## حكاية[1]

قال زيد بن أسلم: رأيت ذات ليلة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطوف مع العسس فتبعته وقلت له: أتأذن لي أن أصحبك. فقال: نعم. فلما خرجنا من المدينة رأينا ناراً من بعيد فقلنا رعاة يكونون قد نزلوا هناك مسافرين. فقصدنا النار فرأينا امرأة أرملة ومعها ثلاثة أطفال وهم يبكون. وقد وضعت لهم قدراً على النار وهي تقول: إلهي انصفني من عمر وخذ لي منه الحق، فإنه شبعان ونحن جياع. فلما سمع عمر كلامها تقدم وسلّم عليها وقال: أتأذنين لي أن أدنو إليك؟ فقال: إن دنوت لخير فبسم الله. فتقدم عمر وسألها عن حالها وحال أطفالها فقالت: وصلت وهؤلاء الأطفال معي من مكان بعيد وأنا جائعة والأطفال جياع، وقد بلغني من أجلهم همّ عظيم. وبلغ مني ومنهم الجوع والجهد إلى أن منعهم عن الهجوع. فقال لها عمر: وأي شيء في هذا القدر؟ فقالت: تركت فيه ماء لأشاغلهم به ليظنوا أنه طعام فيصبروا إلى حيث يناموا.

(١) وردت هذه الحكاية في سياست نامه لنظام الملك، ص ١٦٩ ـ ١٧٠.

قال زيد بن أسلم: فعاد أمير المؤمنين وقصد دكان بياع الدقيق فابتاع منه ملء جراب ومضى إلى دكان القصّاب، فابتاع منه دسماً ووضع الجميع على كاهله ومضى يطلب المرأة والأطفال. فقلت ياأمير المؤمنين أعطني أحمله عنك. فقال: إن حملته عني في الدنيا فمن يحمل عني أوزاري وذنوبي في الآخرة يوم القيامة. ومن يحول بيني وبين دعاء تلك الحرمة عليّ، وجعل يسعى ويبكي إلى أن وصل إلى المرأة. فقالت المرأة جزاك الله عنا خير الجزاء. وأخذ عمر جزءاً من الدقيق وشيئاً من الدسم فوضعه في القدر وجعل يوقد النار، وكلما أرادت أن تخمد نفخها والرماد يسقط على وجهه ومحاسنه حتى انطبخت القدر. فوضع الطبيخ في القصعة وأطعم الأولاد والمرأة. فقال لها عمر: أيتها المرأة، لا تدعي على عمر فإنه لم يكن عنده منكم خبر.

وأول من دعي بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب. لأن أبا بكر رضي الله عنه دعوه بخليفة رسول الله ﷺ. فلما وصل الأمر إلى عمر كانوا يقولون: ياخليفة خليفة رسول الله. فكان يطول ذلك، فقال: ياأيها المؤمنون سموني أميراً، فإني أميركم وإن دعوتموني أمير المؤمنين فأنا ذلك عمر بن الخطاب.

## حكـــاية

سئل خازن بيت المال هل انبسط عمر في بيت المال؟ فقال: كان في أول الأمر إذا لم يكن له شيء يتقوت به أخذ قليلاً برسم القوت. فإذا حصل عنده شيء أعاده إلى بيت المال. وخطب يوماً فقال: أيها الناس قد كان الوحي ينزل في عهد رسول الله ﷺ فكنا نعرف به ظاهر الناس وباطنهم وجيدهم ورديئهم. والآن قد انقطع الوحي عنا فنحن

ننظر من كل أحد إلى علانيته والله أعلم بسريرته. وأنا على العهد وعمالي أن لا نأخذ شيئاً بغير حق ولا نعطي شيئاً بغير حق.

فإن شئت أن تعلم أن عدل السلطان وتقيته سبب لجميل ذكره ونيل فخره، فانظر في أخبار عمر بن عبد العزيز فإنه لم يكن لأحد من بني أمية وبني مروان مثل مدحه ومحمدته. ولا يدعى إلا له ولا يثنى إلا عليه لأنه كان عدلاً تقياً كريماً حسن السيرة.

## حكاية[1]

كان في عهد عمر بن عبد العزيز قحط عظيم فوفد عليه وفد من العرب فاختاروا رجلاً منهم لخطابه. فقال ذلك الرجل: يا أمير المؤمنين إنا أتيناك من ضرورة عظيمة وقد يبست جلودنا على أجسادنا من فقد الطعام. وراحتنا في بيت المال وهذا المال لا يخلو من ثلاثة أقسام: أما أن يكون لله تعالى. أو لعباد الله. أو لك. فإن كان لله فإن الله غني عنه، وإن كان لعباد الله فأتهم إياه. وإن كان لك فتصدّق به علينا. إن الله يجزي المتصدقين. فتغرغرت عينا عمر بالدموع وقال: هو على ما ذكرت. وأمر أن تقضى حوائجهم من بيت المال.

فهم الأعرابي بالخروج فقال له عمر: أيها الإنسان الحر كما أوصلت إلى حوائج عباد الله وأسمعتني كلامهم فأوصل كلامي وارفع حاجتي إلى الله تعالى. فحوّل الأعرابي وجهه إلى السماء وقال: إلهي معرّتك وجلالك اصنع مع عمر بن عبد العزيز كصنيعه في عبدك.

فما استتم الأعرابي دعاه حتى ارتفع غيم فأمطر مطراً غزيراً، وجاء

(١) سياست نامه، المرجع السابق، ص ٨٧.

في المطر بردة كبيرة فوقعت على آجرة فانكسرت فخرج منها كاغد مكتوب عليه: هذه براءة من الله العزيز لعمر بن عبد العزيز من النار.

## حكـــاية

يقال إن عمر بن عبد العزيز كان ينظر ليلاً في قصص الرعية وروزناماتهم في ضوء السراج، فجاء غلام له فحدثه في معنى كان يتعلق ببيته. فقال له عمر أطفىء السراج ثم حدثني لأن هذا الدهن من بيت مال المسلمين، فلا يجوز استعماله إلا في أشغال المسلمين.

## حكـــاية

كان لعمر بن عبد العزيز غلام، وكان خازناً لبيت المال. وكان لعمر ابن عبد العزيز ثلاث بنات فجئنه يوم عرفة وقلن له غداً يوم العيد، ونساء الرعية وبناتهن يلبسنا ويقفن أنتن بنات أمير المؤمنين وتراكن عرايا، فلا أقل من ثياب بيض تلبسنها. وبكين عنده فضاق صدر عمر بن عبد العزيز، فدعا غلامه الخازن وقال له: أعطني مشاهرتي من بيت المال سلفاً. فقال الخازن: يا أمير المؤمنين تأخذ المشاهرة من بيت المال سلفاً انظر إن كان لك عمر شهر فخذ مشاهرتك. فتحير عمر وقال: نعم ما قلت أيها الغلام، بارك الله فيك. ثم قال لبناته: اكظمن شهواتكن، فإن الجنة لا يدخلها أحد بغير مشقة.

## حكمـــة

يقال إن الصادقين من الناس ثلاثة: الأنبياء والملوك والمجانين. وقيل: إن السكر جنون وإن المجنون سكره باطن والسكران جنونه ظاهر. والويل لمن يبقى في سكر الغفلة دائماً كما قال الشاعر:

من أسكرته الخمر في سرعة  فما عليه إن صحا من خجل

ومن يكن بالملك ذا سكرة  يصح إذا ما الملك عنه انتقل

والقليل جداً من كان من سكر سلطنته صاحياً، وكان المقدم على أعماله ثقة أميناً، وكان جليسه نصوحاً معيناً. وعلامة سكر السلطان أن يسلّم وزارته إلى محتاج معوز، ثم يستدنيه ويتمسك به إلى أن تزول حاجته وتنقضي فاقته، ثم يعزله وينصّب غيره فيكون مثله مثل من يربي طفلاً صغيراً إلى أن يصير بالغاً كبيراً ليصلح للأعمال وقضاء الأشغال ثم يقتله ويستأصله.

قيل أربعة أشياء على الملوك من جملة الفرائض وهي: إبعاد الأدنياء عن ممالكهم. وعمارة المملكة بتقريب العقلاء. وحفظ آراء المشايخ وأولي الحنكة والتجربة. وزيادة أمر المملكة بالإقلال من الأعمال المذمومة.

لما تولى عمر بن عبد العزيز، كتب إلى الحسن البصري، أن أعني بأصحابك. فكتب إليه الحسن البصري: أما طالب الدنيا فلا ينصح لك. وأما طالب الآخرة فلا يرغب فيك ولا يجوز للسلطان أن يسلم وزارته ولا عملاً من أعماله إلى من ليس لذلك بأهل. فإن سلّم الأعمال إلى ذلك الرجل فقد أفسد ملكه وأهمل أمره وخرّب مملكته وظهر له الخلل الوافر من كل وجه كما قال الشاعر:

البيت إذا ما حان منه خرابه  ظهر التخلخل من أساس الحائط

وإذا تولى الملك غير رجاله  ولوا الأمور لكل قدم ساقط

وينبغي لمن خدم الملوك أن يكون كما قال الشاعر:

إذا خدمت الملوك فالبس من التوقي أعز ملبس

وادخل إذا ما دخلت أعمى واخرج إذا ما خرجت أخرس

وأما من تبسّط مع السلطان فقد ظلم نفسه ولو كان ولده. فليس للانبساط معهم في خدمتهم وجه كما قال الشاعر:

لو أنك للسلطان نجلاً فداره فخف منه إن أحببت رأسك تسلم

## ٥ ـ في سياسة الوزراء وسيرهم

اعلم أن السلطان يحسن ذكره ويعلو قدره بالوزير إذا كان صالحاً كافياً عادلاً، لأنه لا يمكن أحداً من الملوك أن يصرف زمانه ويدبر سلطانه بغير وزير، ومن انفرد برأيه ضل لغيره. ألا ترى أن النبي عليه السلام مع جلالة قدره وعظم درجته وفصاحته، أمره الله تعالى بمشاورة أصحابه العقلاء العلماء فقال عز من قائل: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ ﴾[1] وأخبر في موضع آخر عن موسى عليه السلام: ﴿ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴾[2].

فإذا لم يستغن الأنبياء عليهم السلام عن الوزراء كان غيرهم من الناس أحوج.

---

(١) آل عمران، الآية ١٥٩.

(١) طه، آية ٢٩ ـ ٣٢.

وسئل ازدشير بن بابك أي الأصحاب أصلح للملك؟ فقال: الوزير العاقل الشفيق الأمين الناصح، ليدبر معه رأيه ويشير إليه بما في نفسه. وعلى السلطان أن يعامل الوزير بثلاثة أشياء: أحدهما أنه إذا ظهرت منه زلة أو وجدت منه هفوة لا يعاجل بالعقوبة. الثاني أنه إذا استغنى في دولته، واتسع ظله في خدمته، لا يطمع في حاله ولا في ماله وثروته. الثالث إذا سألته في حاجة لا يتوقف في قضاء حاجته.

وينبغي أن لا يمنعه من ثلاثة أشياء وهي: متى ما اختار أن يراه لا يمنعه عنه، وأن لا يسمع في حقه كلام مفسد، وأن لا يكتم عنه شيئاً من سرّه. لأن الوزير الصالح حافظ سرّ السلطان ومدبر أحوال المملكة وعمارة الولايات والخزائن وزينة المملكة وشدة الهيبة والقدرة، وله الكلام على الأعمال واستماع الأجوبة، وبه يكون سرور الملك وقمع أعدائه، وهو أحق الناس بالاستمالة وتفخيم القدر وتعظيم الأمر. قال كسرى أنو شروان لولده: أكرم وزيرك لأنه إذا رآك على أمر لا يجوز لك، لا يوافقك عليه.

وينبغي للوزير أن يكون مائلاً إلى الخير متوقياً عن الشر. وإذا كان سلطانه حسن الاعتقاد مشفقاً على العباد كان له عوناً على ذلك، وإذا كان السلطان ذا حنق غير مشفق كان على الوزير أن يكون مائلاً إلى الخير، وإن يرشده قليلاً قليلاً بألطف وجه ويهديه إلى الطريق المحمودة.

واعلم أن دوام الملك بالوزير ودوام الدنيا بالملك، وينبغي أن يعلم أنه لا يجوز له أن يهتم بغير الحق ويعلم أنه أول إنسان يحتاج إليه السلطان.

سئل بهرام كور إلى كم يحتاج السلطان حتى تتم سلطنته وتنصرم بالسرور مدته؟ فقال إلى سبعة من الأصحاب: الوزير الصالح ليظهر إليه

سره ويسوس أمره، والفرس الجواد لينجيه يوم الحاجة إلى النجاة، والسيف القاطع والسلاح الحصين، والمال الكثير الذي يخف حمله ويثقل ثمنه كالجوهر واللؤلؤ والياقوت، والزوجة الحسناء لتكون مؤنسة لقلبه مزيلة لكربه. والخباز الخبير الذي إذا أمسك شيئاً دبره بلطفه.

## حكاية

يقال إن سليمان كان جالساً يوماً على سرير ملكه. وقد حمله الريح في الجو فنظر بالعجب إلى مملكته وطاعة الجن والإنس وانقيادهم إلى طاعته وعظيم سياسته. فاضطرب السرير به وهم بالانقلاب. فقال سليمان عليه السلام للسرير: استقم. فنطق السرير وقال: استقم أنت حتى نستقيم نحن كما قال عز من قائل: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾[1].

وقال أبو عبيدة في أمثاله: من سلك منهج الجد أمن العثار.

ويجب أن يكون الوزير عالماً عاقلاً شيخاً فاضلاً. لأن الشاب وإن كان عاقلاً لا يكون في التجربة كالشيخ. والذي يتعلمه الناس من تجارب الأيام لا يُتعلّم إلا من المشايخ.

والوزير زين السلطنة، والزين يجب أن يكون صالحاً ظاهراً من الشين. ويحتاج الوزير إلى خمسة أشياء ليحمد خبره وتحسن سيرته: التيقظ لينظر في كل أمر يدخل فيه وجه المخرج منه. والعلم حتى تتضح له الأشياء الخفية. والشجاعة حتى لا يخاف من شيء في غير موضع الخوف. والصدق لئلا يعمل مع أحد غير الصحيح. وكتمان سر السلطان إلى أن يدركه الموت.

---

(١) سورة الرعد، آية ١١.

قال أزدشير بن بابك: يجب أن يكون الوزير ساكناً متمهلاً شجاعاً واسع الصدر حسن المقال، مليح الوجه مستحيياً صامتاً حيث يحسن الصمت. ومتكلماً إذا أحسن الكلام. ومع ذلك يجب أن يكون الوزير ديناً حسن المذهب، ليطهّر نفسه وينفي عنها كل ما لا يحسن من الاعتقاد.

وينبغي أن يكون ذا تجارب ليسهل الأمور على الملك وأن يكون متيقظاً لينظر في عواقب الأمور يخاف عليه من تصاريف الدهور. ويتحفظ أن يصيبه عيب الزمان وكل ملك كان وزيره له محباً وعليه شفيقاً ذلك الوزير كثير الأعداء. وكان أعداؤه أكثر من أصدقائه. ولا يجوز للسلطان أن يسمع في وزيره كلام المحرّضين عليه، الساعين به إليه. ويجب أن يكون الوزير محمود الطريقة حتى إذا رأى في الملك خلة مذمومة غير رشيدة رده إلى العادة الحميدة من غير غلظة شديدة، لأن الملك إذا كان على ما لا يريده، وسمع منه ما يكرهه من التقريع عمل شراً من ذلك. والدليل على ذلك أن الباري جلت قدرته لما أرسل موسى إلى فرعون أمره بقوله: ﴿ فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً ﴾[1]. فإذا كان الله سبحانه وتعالى أمر نبيه أن يقول لعدوه قولاً ليناً فالناس أجدر وأولى أن يلينوا مقالتهم. وإن كان السلطان يخشن كلامه فلا يجوز للوزير أن يحقد عليه ويضبط على كلامه في قلبه فإن قدرة الملك تطلق لسانه فينطق بما يريد: وإذا كان الوزير محباً للملك صحيح المقال حسن الفعال كان له عوناً على ذلك وأمره بالملازمة. فلا يجوز له أن يعدد حسناته على الملك ولا يمتن بها عليه.

(١) سورة طه، آية ٤٤.

قال أهل العلم: إذا أحسنت إلى أحد وعددت حسناتك عليه كان شراً من الامتنان عليه تقريعك له. وينبغي أن يعلم الوزير وسائر الملك، إنه مهما فعلوه من حسن، فإن ذلك بإقبال الملك وبركة ظله. وأعظم فساد ينشأ في دولة الملك يكون من أمرين: أحدهما من الوزير الخائن. والثاني من نية الملك الرديئة الفاسدة.

قال أنو شروان: شر الوزراء من جرأ السلطان على الحرب وجرأه على القتال في موضع يمكن أن يصلح الحال بغير حرب، لأن الحرب في سائر الأحوال تفني ذخائر الأموال، وفيها تبذل كرائم النفوس ومصونات الأرواح. وقال أيضاً: كل ملك كان له وزير جاهل مثله كمثل الغيم الذي يبدو ويظهر ولا يندى ولا يمطر.

وفي كتاب أرسطوطاليس، كان أمر ينقضي على يد غيرك بلا حرب ولا خشونة فهو خير مما تقضيه بيدك بالحرب والغصب.

والعلماء يضربون هذا المثل فيقولون: ينبغي أن تمسك الحية بيد غيرك لا بيدك. وترتيب الوزراء مهما أمكنهم أن يحاربوا بالكتب فليحاربوا، فإن لم تتأت الأمور بالاحتيال والتدبير، فيجهدوا في تأتيها بعطاء الأموال بذل الصلات والنوال. ومتى انهزم لهم عسكر عفوا عن ذنوب الجند، ولم يستعجلوا بقتلهم لأنه قد يمكن قتل الأحياء ولا يمكن إحياء القتلى. فإن الرجل يصير رجلاً في أربعين سنة، ومن مائة يكون رجل يصلح لخدمة السلطان. وإن أسر أحد من الجند من أصحاب الملك كان على الوزير أن يستفكه ويفتديه ويخلصه ويشتريه ليسمع الجند بصنيعه فتقوى قلوبهم إذا باشروا حروبهم.

وعلى الوزير أن يحفظ أرزاق الجند، كل إنسان منهم على قدره. وأن

يدرب الرجال الشجعان بآلات الحرب. وأن يخاطبهم بأحسن كلام، ويلين لهم في الخطاب، ويلطف بهم الجواب. فإن الجند قد قتلوا كثيراً من الوزراء في قديم الزمان وسالف الأعوام.

ومن سعادة السلطان ويمن طالعه وتوحده أن يسهّل الله له وزيراً صالحاً ومشيراً ناصحاً. وقال رسول الله ﷺ: إذا أراد الله بأمير خيراً قيد له وزيراً نصيحاً صادقاً صبيحاً، إن نسي ذكّره وإن استعان به أعانه.

قال مؤلف هذا الكتاب: إن الله جل اسمه يظهر قدرته في كل حين وزمان ووقت وأوان، ويصطفي جماعة يختارهم من عباده مثل الملوك والوزراء وأكابر العلماء ليعمّر بهم الدنيا.

ومن عجائب الزمان حديث البرامكة الذين لم يوجد لهم في الدنيا نظير في الكرم والسخاء وبذل المعروف والعطاء. وكان تحت حكمهم أكثر الولايات الوافرة والمرتفعات، وبعد انقراضهم فسدت أحوال الوزارة، ولم يبق لخدمة الملوك رونق ولا نضارة إلى أن أوجد الله تبارك وتعالى بركة آل سلجوق وظل دولتهم إلى النظام، وأوصلهم إلى درجات الوزراء المتقدمين وأرفع، بحيث لم يبق في الدنيا أحد من أهل الفضل والأدب وأبناء السبيل الغرباء من شريف ووضيع إلى وهو مشمول بإحسانهم مغمور بامتنانهم، ولم يكن أحد من خيرهم محروماً. وإنما ذكرنا هذا ليعلم من يقرأ كتابنا الفرق بين الصالح وغير الصالح.

وقال بزرجمهر: لا تقاس الأشياء بعضها ببعض، لأن جوهر الناس أجلّ من كل جوهر. وإنما زينة الدنيا جميعها بالناس. والباري جلت قدرته لا ينسب إلى الخطأ وهو واهب الصلاح لمن يشاء. وأنه يوتي كل أحد ما يصلح له ويليق به.

فينبغي أن يكون وزراء الملوك ومدبري دولهم على هذه الصفة، وأن يحفظوا رسوم المتقدمين وطرائقهم. وأن يلتمسوا الأموال التي تؤخذ من الرعية في أوقاتها وأحيانها وعند وجوبها وإتيانها. وليعرفوا الرسم ويحملوا الرعية بحسب طاقتها وقدر قدرتها. وأن يكونوا في تصديهم كصائح الكركي، لا كقاتلي العصفور. ولا يجوز لهم أن يحرضوا على تناول أموال المواريث مادام الوارث موجوداً، فالطمع في ذلك مشؤوم غير جائز. ويجب عليهم استمالة قلوب الرعية والحشم بهبات الفوائد والنعم، وليعلموا أن كفايتهم وسمو مرتبتهم وصلاحهم منوط بصلاح الرعية. ليحسن ذكرهم في الدنيا وينالوا جزيل الثواب في العقبى.

## ٦ـ في ذكر الكتاب وآدابهم

قال العلماء إنه ليس شيء أفضل من القلم لأن به يمكن إعادة السالف الماضي. ومن فضل القلم وشرفه، أن الله تعالى جل اسمه أقسم به. فقال عز من قائل: ﴿ نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾[2]. وقال رسول الله ﷺ: أول ما خلق الله تعالى القلم، فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة. وقال عبد الله بن عباس[3] رضي الله عنه في تفسير هذه الآية حكاية عن يوسف عليه السلام: ﴿ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾[4]. قال

---

(١) سورة القلم، آية ١.

(٢) سورة العلق، آية ٣ ـ ٤.

(٣) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي. أبو العباس ابن عم الرسول. ولد بمكة قبل الهجرة بثلاث سنوات ونشأ في بدء عصر النبوة ولازم النبي، وروى عنه الأحاديث وصار مرجعاً في الفقه والتشريع سكن الطائف وتوفي بها عام ٦٨هـ/ ٦٨٧م.

(٤) سورة يوسف، آية ٥٥.

معناه: ولني على كنوز الأرض. فإني كاتب حاسب والقلم صانع الكلام. وقال ابن المعتز: القلم معدن والعقل جوهر. والقلم صائغ، والخط صناعته.

قال جالينوس الحكيم: القلم طيب الكلام. وقال بليانس الحكيم: القلم طلسم كبير. وقال الإسكندر: الدنيا تحت شيئين: السيف والقلم. والسيف تحت القلم.

والقلم أدب المتعلمين وبضاعتهم، وبه يعرف رأى كل إنسان من قريب وبعيد. ومهما كان الرجل مجرباً للزمان فإنه ما لم ينظر في الكتب لا يكون كامل العقل، لأن مدة عمر الإنسان معلومة ومعلوم أيضاً أنه في هذه المدة القريبة والعمر القصير، كم يمكنه أن يدرك بتجربته وكم يحفظ بقلبه. والسيف والقلم حاكمان في جميع الأشياء، ولولا السيف والقلم لما قامت الدنيا.

وأما الكتّاب فلا يجوز لهم أن يعرفوا أكثر من حدود الكتابة ليصلحوا لخدمة الأكابر.

وقال الحكماء والملوك القدماء: ينبغي أن يكون الكاتب عالماً بعشرة أشياء: الأول قرب الماء وبعده تحت الأرض، ومعرفة استخراج الاقناء، ومعرفة زيادة الليل والنهار ونقصانهما في الصيف والشتاء، ومسير الشمس والقمر والنجوم ومعرفة الاجتماع والاستقبال والحساب بالأصابع والأقدام، وحساب الهندسة والتقويم، واختبارات الأيام وما يصلح للمزارعين ومعرفة الطب والأدوية، ومعرفة ريح الشمال والجنوب. ومعرفة علم الشعر والقوافي.

ومع هذا كله ينبغي أن يكون الكاتب خفيف الروح، طيب اللقاء،

عالماً ببراية القلم وتدبيره وقطعه ورفعه. ومهما كان في قلبه أظهره بسنان قلمه، وأن يحرس نفسه من طغيان قلمه.

وينبغي للكاتب أن يعرف أي حروف يجوز مدها، وأي حروف تكون مجتمعة متصلة. وليكتب الخط مبيناً. ويعطي كل حرف حقه. كما يحكى أنه كان لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه عامل فكتب كتاباً إلى عمرو بن العاص، ولم يظهر سين بسم الله الرحمن الرحيم، فاستدعاه عمر وقال له: أظهر أولاً سين بسم الله، ثم توجه بعد ذلك إلى عملك.

وأول ما ينبغي أن يعلم الكاتب براية القلم فإن الإنسان إذا كان يحسن الخط ويقدر أن يبري قلمه، فإن الخط على كل حال يجيء صالحاً كما جاء في الحكاية.

## ٧ ـ في سُموّ هِمَم الملوك

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أجهد أن لا تكون دنيء الهمة، فإني ما رأيت شيئا أسقط لقدر الإنسان من توانى همته. وقال عمر بن العاص: المرء حيث وضع نفسه يريد، إن أعز نفسه علا أمره وإن أذلها هان قدره.

وتفسير معنى الهمة أن يرفع نفسه، فإن أنفة القلب من همم الأكابر لأنهم يعرفون قدر أنفسهم فيعزونها. ولا يرفع أحد قدر أحد حتى يكون هو الرافع لقدر نفسه. وإعزاز المرء نفسه أن لا يختلط بالإرذال، ولا يشرع في عمل ما لا يجوز لمثله أن يعمله، ولا يقول ما يعاب به. والهمة والأنفة للملوك لأن الله ركب فيهم هذه الخصلة، فليتعلم منهم الوزراء والندماء كما جاء في الحكاية.

## حكـــاية

يقال إن يحيى بن خالد البرمكى خرج من دار الخلافة راكباً إلى داره، فرأى على باب الدار رجلاً، فلما قرب منه يحيى نهض قائماً وسلم عليه وقال له: يا أبا على أنا محتاج إلى ما فى يدك. وقد جعلت الله وسيلتى إليك. فأمر يحيى أن يفرد له موضع فى داره، وأن يحمل إليه كل يوم ألف درهم، وأن يكون طعامه المختص. وبقى على ذلك شهراً كاملاً. فلما انقضى الشهر، كان قد وصل إليه ثلاثون ألف درهم. فأخذ الرجل الدراهم وانصرف. فقيل ليحيى عن ذلك فقال: والله لو أقام عندى مدة عمره وطول دهره لما منعته صلتى، ولا قطعت عنه ضيافتى.

## حكـــاية

كان لجعفر بن موسى الهادى جارية عوّادة تعرف ببدر الكبرى ولم يكن فى زمانها أحسن منها وجهاً ولا أحذق منها بصناعة الغناء وضرب الأوتار وكانت فى غاية الكمال ونهاية فى الجمال. فسمع بخبرها محمد ابن زبيدة الأمين، فالتمس من جعفر أن يبيعها له فقال له جعفر: أنت تعلم أنه لا يجئ من مثلى بيع الجوارى والمساومة فى السرارى، ولولا أنها مزينة دارى لأنفذتها إليك ولم أشح بها عليك.

ثم إنه بعد ذلك بأيام، جاء محمد بن زبيدة إلى داره فرتب له مجلس الشراب وأمر بدراً أن تغنى له وتطربه، فأخذ محمد فى الشراب والطرب ومال على جعفر بكثرة الشرب حتى أسكره، وأخذ الجارية معه إلى داره ولم يمد إليها يده من شرف نفسه وهمته، ثم رسم من الغد باستدعاء جعفر. فلما حضر قدّم بين يديه الشراب، وأمر الجارية أن تغنى من داخل الستارة، فسمع جعفر غناءها فلم ينطق من شرف نفسه وهمته،

ولم يظهر تغيراً في محاضرته. ثم أمر محمد الأمين أن يملأ الزورق الذى جاء فيه جعفر بالدراهم. فيقال إنه وضع فى المورق ألفى بدرة، وجملتها عشرون ألف ألف درهم، حتى استغاث الملاحون وقالوا: ما يقدر الزورق يحمل شيئا آخر، وأمر بحمله إلى دار جعفر.

وهكذا كانت همم الأكابر.

سئل بعض الحكماء من أيسر الناس حالاً؟ قال: من كان أعلاهم همة وأكثرهم علماً وأعذرهم فهماً وأضيقهم حالاً. ـ قيل: فبمن ينبغى أن يتوصل ليخلص من نحوسة حظه وضائقة يده. قال: بالملوك والأكابر وذوى الهمم العالية والنفوس الشريفة السامية. كما قيل: جاور بحراً أو ملكاً ـ.

## حكمة

قال بعض الحكماء: إجلال الأكابر من الكرم وحسن الخلال. واحتقار الناس من لؤم الأصل وقبح الخلال. والهمة بغير آلة خفة، وإنما الهمة مع الجدّ تجمّل وتلطّف وتحسّن وتظرّف، لأن الرجل إذا كان ذا همة وجده غير مساعد، لم يكن له من همته سوى الانحطاط لأنه يجب أن تكون الهمة علوية والجد عالياً وقد قيل أيضاً: الكلام بالدرجة والعمل بالقدر.

## حكاية

كان عبد العزيز بن مروان أمير مصر. فركب يوماً واجتاز بموضع، وإذا برجل ينادى ولده ياعبد العزيز، فسمع الأمير نداءه فأمر له بعشرة آلاف درهم لينفقها على ذلك المولود الذى هو سميه. ففشى الخبر بمدينة مصر، فكل من ولد له ولد فى تلك السنة سمّاه عبد العزيز.

وبضد ذلك: كان الحاجب تاش الأمير الكبير بخراسان. فاجتاز يوماً بصيارف بخارى ورجل ينادى غلامه وكان اسم الغلام تاش. فأمر بإزالة الصيارف ومصادرتهم وقال: إنما أردتم الاستخفاف باسمى.

فانظر الآن الفرق بين الحر القرشى والمملوك المسترق بالدراهم.

وفى هذا الباب كلام: كثير إن ذكرناه طال الكتاب. وينبغى أن تعلم أن الهمة وإن تأخرت فإنها توصل الإنسان إلى مراده يوماً من الزمان كما قال الشاعر:

لو كنت فى خدمة السلطان ذا طلب ... للزاد ما كنت من حاميه أخطيه
أسعى لمجد فلولا صدق معرفتى ... أنى سأدرك ما قد كنت أطلبه

أما المحمود من الرجل أن لا يتجاوز بهمته فوق قدره وقدرته لئلا يعيش مغتماً طول حياته ومدته ـ كما قال مؤلفه:

إن كنت تقنع بالكفاية لم تكن ... بالدهر أرفه منك عيشاً فيه
أو كنت بما فوق ذلك طامعاً ... لم تكفك الدنيا بما تحويه
ماذا يفيد علو همتك الذى ... يستجيب لنيل ما يبغيه

## ٨ـ فى الحكمة وما قاله الحكماء

أما الحكمة فإنها عطاء من الله تعالى يؤتيها من يشاء. وقال سقراط مثل من آتاه الله الحكمة وهو يغنم للمال كمثل من يكون فى صحة وسلامة فيبيعهما بالتعب والنصب.

فإن ثمرة الحكمة الراحة والعلاء، وثمرة المال التعب والبلاء. قال ابن المقفع: كان لملوك الهند كتب كثيرة بحيث كان تحمل على الفيلة، فأمروا حكماءهم أن يختصروها، فاتفق العلماء على اختصارها على أربع

كلمات: إحداها للملوك وهي العدل. والثانية للرعية وهي الطاعة. والثالثة للنفس وهي الامساك عن الطعام إلى وقت الجوع. والرابعة للإنسان وهي إن لا ينظر إلى نفسه.

## حكمـــة

قال بعض الحكماء الناس على أربعة: رجل يدري ويدري أنه يدري، فذاك عالم فاتبعوه. ورجل يدري ولا يدري أنه يدري، فذاك ناس فذكروه. ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري، فذلك جاهل فاحذروه. ورجل لا يدري ويدري أنه لا يدري فذلك مسترشد فارشدوه.

سئل بعض الحكماء فقيل: أي شيء أقرب؟ فقال: الأجل. فقيل: أي شيء أبعد؟ فقال: الأمل. وقال الأحنف بن قيس: شيئان لا يتم معهما حيلة، وإذا أقبل الأمر فليس للإدبار فيه حيلة. وإذا أدبر فليس للإقبال فيه حيلة. وقال لقمان الحكيم لابنه: شيئان إذا حفظتهما لاتبالي بما ضيّعت بعدهما: درهمك لمعاشك ودينك لمعادك.

## حكمـــة

سأل أنو شروان بزرجمهر لأي سبب يمكن أن يجعل الصديق عدواً ولا يمكن أن يجعل العدو صديقاً؟ فقال: لأن تخريب العامر أسهل من عمارة الخراب، وكسر الزجاج إذا كان صحيحاً أسهل من تصحيحه إذا كان مكسوراً. وقال: صحة الجسم خير من شرب الأدوية، وترك الذنب خير من الاستغفار، وكظم الشهوة خير من كظم الحزن، ومخالفة الهوى النفساني بالانكسار خير من دخول النار.

## حكمـــة

كان رجل من الحكماء المتقدمين يطوف الدنيا عدة سنين، وكان يعلم الناس هذه الكلمات الست وهي: من ليس له علم فليس له عز في الدنيا ولا في الآخرة. ومن ليس له صبر فما له سلامة في دينه ولا دنياه. ومن كان جاهلاً لم ينتفع بعلمه ومن لا تقوى له فماله عند الله كرامة. ومن لا سخاء له فماله من ماله نصيب. ومن لا نصيحة له فماله عند الله حجة.

## حكمـــة

قال وهب بن منبه في التوراة أربع كلمات مكتوبة: كل عالم لم يكن متورعاً فهو كاللص. وكل رجل خلا من العقل فهو والبهيمة على مثال واحد. وكل غني لا يربح بدنه فهو والأجير سواء. وكل فقير يتواضع لغني لأجل غناه، فهو والكلب سواء.

## حكمـــة

قال بعض الحكماء: أصل الرعاية العطف، وأصل الذنب العجلة، وأصل الذل البخل.

قال الحكيم: ينبغي للإنسان أن لا يكون بقاليه متقدماً وبعادته أبله أي يتجاوز عن الجيد والرديء. وينبغي أن يستمع كلام الحكمة من غير حكيم، فإنه قد يصيب الغرض من لم يكن رامياً.

## حكمـــة

قال الأحنف بن قيس: لا صديق لملول ولا وفاء لكذوب، ولا راحة

لحسود، ولا مروءة لدنيء ولا زعامة لسيئ الخلق.

قال ذو الرياستين: اشتكى رجل من خصم إلى الإسكندر. فقال الإسكندر: أتحب أن أسمع كلامك فيه بشرط أن أسمع كلامه فيك؟ فخاف الرجل وأمسك عن كلامه فقال الإسكندر: كفوا أنفسكم عن الناس لتأمنوا أمر أنامن السوء.

## حكمة

قال بزرجمهر العوافى أربعة: عافية الدين، وعافية الجسم، وعافية المال، وعافية الأهل. فأما عافية الدين ففى ثلاثة أشياء: إنك لا تتابع الهوى، وأن تعمل بأوامر الشرع وأن لا تحسد أحداً. وعافية الجسم فى ثلاثة أشياء: قلة الأكل، والإقلال من الكلام، والإقلال من النوم. وعافية المال فى ثلاثة أشياء: إطعام البطن، وأداء الأمانة، وإخراج الحق من المال. وعافية الأهل فى ثلاثة أشياء: القناعة وحسن العشرة، وحفظ طاعة الله تعالى.

وسئل حاتم الأصم لأى سبب لا نجد ما وجده المتقدمون؟ قال: لأنه فاتكم خمسة أشياء: المعلم الناصح، والصاحب الموافق، والجهد الدائم، والكسب الحلال والزمان المساعد.

جاء فى الخبر أن رسول الله ﷺ قال: ياعلى أقبل إلىّ بوجهك وأخلى لى سمعك وقلبك كل وعظ، واجمع وهب وتشدد. فقال على رضى الله عنه: ما معنى هذه الكلمات يارسول الله؟ فقال: ياعلى كل الغضب، وغط عيب أخيك، واجمع لذلك القبر الضيق المظلم، وهب ظلم الظالم، وتشدد فى دين الله والإسلام.

## حكمـــة

قال رجل لبعض الحكماء أوصني فقال: انظر قضاه واطلب رضاه وتجنب جفاه.

## حكمـــة

سئل بعضهم أي شيء يسيئ الخلق؟ فقال: كثرة التدبير وليس قدره. ومع الاستكثار لا تزول الحاجة. والعبد يحرص على كل شيء إلا على الفقر فليس يحرص عليه أحد، لأن الخلق كلهم يطلبون الغنى. ولا يحرص أحد على الغم لأن الكل يطلبون السرور ويحرصون على الفرح. ولا يحرص أحد على الموت، لأنهم يحرصون على الحياة.

قال أبو قاسم الحكيم: هلاك العبد في شيئين: المعصية والانفراد بالرأي.

وقال: بلاء الخلق في ثلاثة: العلماء المضللون والقراء البله والعوام الحسدة.

وقيل: لا تطلب صحبة من طامع ولا تطلب وفاء من خسيس الأصل. وقال الحكيم شيئان غريبان: في هذا الزمان: الدين والفقر. وقال الحكيم: إن حفظت أربعة أحوال كنت من جملة الرجال: إحداها سرك بحيث يكون إذا علمه الناس رضيت. الثاني علانيتك بحيث لو اقتدى بك الناس جاز لك. الثالث أن تعامل الناس بما لو عاملوك به اخترته لنفسك. والرابع أن تكون حالتك للناس بحيث لو كانت عليك رضيت بها.

## حكمـــة

قال الحكيم: ينبغي أن تنظر ثلاثة أشياء بعين ثلاثة وهي: أن تنظر إلى

الفقراء بعين التواضع لا بعين التكبر. وأن تنظر إلى الأغنياء بعين النصح لا بعين الحسد. وأن تنظر إلى النساء بعين الشفقة لا بعين الشهوة.

## حكمـــة

قال وهب بن منبه: قرأت في التورة أن أم المعاصي ثلاثة: الكبر والحرص والحسد. وإنها نتيجة خمسة أشياء: كثرة الأكل، وكثرة النوم وراحة الجسم، وحب الدنيا ومدح الناس. وقال: من خلص من ثلاثة فمأواه الجنة وهي: المنة والمؤونة والملامة إذا أحسن لم يمنّ بإحسانه، وأن يخفف مؤونته عن الناس، وإذا رأى في أحد عيبا لم يلمه.

## حكمـــة

يقال إن ابن القرية دخل على الحجاج يوماً وكان من أكابر أهل زمانه فطنة وعلماً فسأله الحجاج وقال له: ما الكفر؟ فقال: البطر بالنعمة واليأس من الرحمة. فقال: ما الرضى؟ قال: القنوع بقضاء الله تعالى والصبر على المكاره. فقال: ما الصبر؟ قال: كظم الغيظ والاحتمال لما يراد. فقال: ما الحلم؟ قال: إظهار الرحمة عند المقدرة، والرضى عند الغضب. فقال: ما الكرم؟ قال: حفظ الصديق وقضاء الحقوق. قال: ما القناعة؟ قال: الصبر على الجوع والعرى عن اللباس. قال: ما الغنى «قال» استعظام الصغير واستكثار القليل. فقال: ما الرزق؟ قال: إصابة الأشياء الكثيرة بالآلة القليلة الحقيرة. فقال: ما الحميمة؟ قال: الوقوف على رأس من هو دونك. فقال: ما الشجاعة؟ قال: الحملة في وجوه الأعداء والكفار والثبات في موضع الفرار. فقال: ما العقل؟ قال: صدق المقال، وإرضاء الرجال. فقال: ما العدل؟ قال ترك المراد، وصحبة

السيرة والاعتقاد. فقال: ما الإنصاف؟ قال المساواة عند الدعاوى بين الناس. فقال: ما الذل؟ قال المرض من خلو اليد، والانكسار من قلة الرزق. فقال: ما الحرص؟ قال: حدة الشهوة عند الرجاء. فقال: ما الأمانة؟ قال: قضاء الواجب. فقال: ما الخيانة؟ قال: التراخي مع القدرة. قال: ما الفهم. قال: التفكير وإدراك الأشياء على حقائقها.

## حكمـــة

ثمانية تجلب المذلة على أصحابها وهي: جلوس الرجل على مائدة لم يدع إليها، ومن تآمّر على صاحب البيت، والطامع في الإحسان من أعدائه، والمصغي إلى حديث اثنين لم يدخلاه بينهما، ومحتقر السلطان ومن جلس فوق مرتبته، ومن تكلم عند من لا يسمع كلامه، ومن صادق من ليس له بأهل.

## ٩ـ في شرف العقل والعقلاء

اعلم أن الله تعالى جل ثناؤه خلق العقل على أحسن حال وقال له: أقبل فأقبل. ثم قال له: أدبر فأدبر. فقال: وعزتي وجلالي ما خلقت في خلقي شيئاً أجل منك. بك آخذ وبك أعطي وبك أحاسب وبك أعاقب. والدليل على صحة هذا أن الله تعالى جعل في العباد شيئين: الأمر والنهي، وكلاهما موقوفان على العقل كما جاء في محكم التنزيل قوله جل من قائل: ﴿ فاتقُوا اللهَ يَا أُولِي الأَلْبَاب ﴾[1] وأولو الألباب هم ذوو العقول، واشتقاق العقل من العقال والمعقل المنيع القلعة على رأس الجبل لا تصل إليها يد أحد لامتناعها وقوتها وأحكامها.

---

(١) سورة المائدة، آية ١٠٠.

## حكمـــة

سئل حكيم الفرس لم سمى العاقل عاقلاً؟ فقال لأن للعاقل سبع علامات يعرف بها. وهي: أنه يتجاوز عن ذنب من ظلمه. وأن يتواضع لمن دونه. وأن يسابق إلى فعل الخير لمن هو أعلى منه. وأن يذكر ربه دائماً، وأن يتكلم عن العلم، وأن يعلم منفعة الكلام في موضعه. وإذا وقع في الشدة التجأ إلى الله عز وجل. وكذلك الجاهل له علامات وهي: أن يجور على الناس ويظلمهم، ويعسف بمن هو دونه، وأن يتكبر على الزعماء والمتقدمين. وأن يتكلم بغير علم. وأن يسكت عن خطأ. وإذا وقع في شدة أهلك نفسه، وإذا رأى أعمال الخير لفت عنها وجهه.

## حكمـــة

قال سعيد بن جبير[1]: ما رأيت للإنسان لباساً أشرف من العقل. إن انكسر صححه وإن وقع أقامه وإن ذل أعزه، وإن سقط في هوة جذبه واستنقذه منها، وإن افتقر أغناه. وأول شيء يحتاج البليغ إليه العلم الممزوج بالعقل كما جاء في الحكاية.

## حكمـــة

يقال إنه ما كان في خلفاء بني العباس خليفة أعلم من المأمون في جميع العلوم، وكان له في كل أسبوع يومان يجلس فيهما للمناظرة مع الفقهاء، وكان يجتمع عنده الفقهاء والمناظرون والعلماء والمتكلمون. فدخل بعض الأيام إلى مجلسه رجل غريب عليه ثياب رثة، فجلس في

(١) أبو عبد الله سعيد بن جبير الكوفي، حبشي الأصل، ولد سنة ٤٥/ ٦٦٥م وتوفي سنة ٩٥هـ/ ٧١٤م، انظر ترجمته في الزركلي، الأعلام، ٣/ ٩٣.

أواخر الناس وقعد من وراء الفقهاء في مكان مجهول فلما ابتدأوا في المسائل، وكان رسمهم أنهم يديرون المسألة على جماعة أهل المجلس. فكل من عرف زيادة لطيفة أو نكتة غريبة ذكرها. فدارت المسألة إلى أن وصلت إلى ذلك الرجل الغريب، فأجاب بجواب أحسن من أجوبة الفقهاء كلهم فاستحسنه المأمون وأمر أن يرفع من ذلك المكان إلى موضع أعلى منه. فلما وصلت إليه المسألة الثانية، أجاب بجواب أحسن من جوابه الأول. فأمر المأمون أن يرفع إلى أعلى من تلك المنزلة. فلما وصلت إليه المسألة الثالثة، أجاب بجواب أحسن وأصوب من الجوابين الأولين، فأمر المأمون أن يجلس قريباً منه. فلما انقضت المناظرة أحضروا الماء وغسلوا أيديهم وأحضروا الطعام. فأكلوا فنهض الفقهاء وخرجوا، فقرّب المأمون ذلك الشخص وأدناه وطيّب قلبه ووعده بالإحسان إليه والإنعام عليه.

ثم عبى مجلس الشراب ونضد. وحضر الندماء الملاح ودارت الراح، فلما وصل الدوّار إلى ذلك الرجل، وقف قائماً على قدميه وقال: إن أذن أمير المؤمنين تكلمت كلمة واحدة. فقال: قل ما تشاء. فقال: قد علم الرأي العالي زاده الله علواً أن هذا العبد كان اليوم في المجلس الشريف في مجامع الناس ووضعاء الجلاس، وإن أمير المؤمنين بقدر يسير من العقل الذي أبداه جعله معروفاً وأعلا درجته وبلغه الغاية التي لم تسم إليها همته. والآن يريد أن يفرّق بينه وبين ذلك القدر اليسير من العقل الذي أعزّه بعد الذلة وكثرة بعد القلة، وحاشا وكلا أن يحسد أمير المؤمنين على هذا القدر اليسير الذي معه من العقل والنباهة والفضل لأن العبد إذا شرب الشراب تباعد عنه عقله وقرب منه جهله وسلب منه أدبه، فعاد إلى تلك الدرجة الحقيرة كما كان ذليلاً، ورجع في أعين

الناس حقيراً مجهولاً. فإن رأى الرأى العالى أن لا يسلب هذه الجوهرة منه بفضله وكرمه وسيادته وحسن شيمه، فعل ذلك متطولاً وأنعم متفضلاً.

فلما سمع المأمون منه هذا الكلام مدحه وشكره وأجلسه فى رتبته ووقره وأمر له مائة ألف درهم، وحمله على فرس وثياب تجمل، وكان كل مجلس يرفعه على جماعة الفقهاء حتى صار أرفع منهم درجة وأعلى منزلة.

وإنما أوردنا هذه الحكاية لأجل نعت العقل، لأن العقل يوصل صاحبه إلى كل درجة عالية ومرتبة سامية. وإن الجهل يحط صاحبه عن درجته ويهبطه من علوّ مكانته.

## حكمـــة

وقيل لبزرجمهر أى شىء من الأشياء لابد للإنسان منه ولا مندوحة له عنه فقال: العقل. فقيل له: ما قدر العقل؟ فقال: شىء لا يوجد فى أحد تاماً كيف يعرف قدره؟

وقال بعض الحكماء: جميع الأشياء مفتقرة إلى العقل. والعقل يفتقر إلى التجربة. ولا غنى أعز من العقل ولا فقر أشد من الجهل. وكل من كان علمه أوفر كانت حاجته إلى العقل أكثر والمرء فى هذا كراعٍ ضعيف معه قطيع كبير يضرب للعالم الذى لا عقل له.

وقال العلماء العقل أمير وله جنود، وجنوده التمييز والحفظ والفكرة والفهم. وسرور الروح بالعقل لأن به ثبات الجسم. والروح سراج نوره العقل. ثم ينبسط فى جميع الجسد. والعاقل لا يغتمّ أبداً لأنه لا يفعل ما يوجب الاغتمام ولا يهتم لما لا يجوز لمثله الاهتمام.

سئل عبد الله بن المبارك[1]: العقل خير أم الأدب؟ فقال: العقل. فقيل له: ما العقل؟ فقال: تعلم العلم، والعمل بالعلم أن تعلم أنه ينبغي أن تعمل، والعقل أنك إذا علمت عملت.

## حكمـــة

سئل ابن عباس، العقل خير أم الأدب؟ فقال: العقل. لأن العقل موهبة من الله، والأدب تكليف من العبد.

## حكمـــة

قال رسول الله ﷺ: ما قسم الله لعباده خير من العقل. ونوم العقل خير من عبادة الجاهل. والعاقل المفطر خير من الجاهل الصائم وضحك العاقل، خير من بكاء الجاهل.

## حكمـــة

قال رجل لأقليدس أستريح أو أتلف روحك؟ فقال: أنا لا أستريح حتى أخرج الحقد من قلبك.

## حكمـــة

قال الحكيم: كما تفوح من الميتة الرائحة المنتنة، كذلك تفوح من الجاهل نتونة الجهل، فتضرّ به وبجيرانه وأقاربه.

---

(١) هو عبد الله بن مبارك الباهلي، أبو عبد الرحمن المروزي الحافظ شيخ الإسلام، المجاهد التاجر، صاحب التصانيف. ولد سنة ١١٨هـ. من أب تركي، كان مولى لرجل من التجار من بني حنظلة من أهل همذان. كان كثير الفضائل والمناقب وصف بالحفظ والزهد والكرم والشجاعة وأجمع العلماء على قبوله وجلالته إمامته وعدله. وتوفي بهيت سنة ١٨٠هـ. ما: البداية والنهاية، ج ١٠، ص ١٧٧ وما بعدها. الأعلام، ٤، ص ١١٥. شذرات الذهب، ج ١، ص ٢٩٥.

## حكمـــة

سئل حكيم ما العقل؟ فقال: العقل سداد وعقد بين ثلاثة وعشرين شيئاً. فلولا هذه العقود لاختلط الجيد بالردئ.

أولاً هو عقدة بين التوحيد والشرك، وبين الإيمان والفكر، وبين الحذر والتهور، وبين الكرم والبخل، وبين حسن الخلق والقباحة، وبين التواضع والتكبر، وبين الصداقة والعداوة، وبين المدح والذم، وبين العلم والجهل، وبين الحياء والوقاحة، وبين الحق والباطل، وبين الرزانة والخفة، وبين الظلمة والضياء، وبين الكرامة والذلة، وبين الطاعة والمعصية، وبين ذكر الله والغفلة، وبين النصيحة والحسد، وبين السنة والبدعة، وبين الرحمة والقساوة، وبين الإسلام والغفلة، وبين اليقين والشك، وبين الحكمة والحمق.

قال صاحب الكتاب: جميع محاسن الناس في العقل، وسائر العلوم والأعمال مرجعها إلى العقل كما جاء في الحكاية.

## حكمـــة

روى أن الريح حملت كرسي سليمان وجعلت تسير به، فلاح لسليمان بلد فأمر الريح أن تحطه، فرأى على باب البلد مكتوباً: أجرة اجتهاد يوم درهم، والحسن والجمال في يوم أجرته مائة دينار، وعلم ساعة واحدة لا تحصى قيمته.

وجميع الأشياء منوطة بالعلم. والعلم أسير الرأى. والتدبير والرأى مع العقل توأمان. من أعطاه الله تعالى العقل فقد أتاه خيراً كثيراً كما قال الشاعر:

إن كنت من أصل جوهر منسوب  أو يوسف في الحسن ولد يعقوب

ما أنت تفقد عقلك المحبوب  في الناس سوى محقّر معيوب

لتعلم أيها الأخ كنه العقل ونفاسته وعلو قيمته، فيجب عليك أيها العاقل الحمد والشكر لواهب العقل وهو الباري جنّت قدرته.

## ١٠ ـ في نعت النساء وذكر ما فيهن من خير

قال رسول الله ﷺ: خير النساء وأبركهن الحسناء الولود الخفيفة المهر. قال عليه السلام: عليكم بالمرأة الحرة فإنها أطهر وأبرك.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: التجئوا إلى الله تعالى من شر النساء، واحذروا أمر خيارهن.

وقال صاحب الكتاب: من أراد صلاح دينه وتدبيره ولم يجد المرأة الحسناء ليلهو بها فعليه بالمرأة الدينّة، فذات الدين خير وأبرك. وإذا جاءت الديانة أتى المال لأن المرأة التي لا دين لها فما لها أصل ولا معها بركة. وببركة الديّانة يوجد كل خير كما جاء في الحكاية.

### حكمة

كان بمدينة مرو رجل يقال له نوح بن مريم، وكان رئيس مرو وقاضيها. وكان له نعم كثيرة وحال موفورة، وكان له بنت ذات حسن وجمال وبهاء وكمال، فخطبها منه جماعة من أكابر الرؤساء وذوي النعمة والثراء فلم ينعم بها لأحد منهم، وتحير في أمرها، ثم يعلم لأيهم يزوجها وقال: إن زوجتها فلاناً أسخطت فلاناً. وكان له غلام هندي دين تقي اسمه مبارك، وكان له كرم عامر كثير الأشجار والفاكهة والثمار، فقال للغلام: أريد أن تمضي وتحفظ الكرم. فمضى الغلام وأقام

في الكرم شهرين، فجاء سيده في بعض الأيام إلى الكرم فقال له: يامبارك ناولني عنقود عنب، فناوله عنقوداً فوجده حامضاً. فقال سيده: اعطني من غير هذا، فناوله عنقوداً حامضاً أيضاً فقال سيده: ما السبب في أنك لا تناولني من هذا الكرم الكبير إلا الحامض؟ قال لأني لا أعلم الحامض من الحلو. فقال سيده: سبحان الله لك مدة شهرين مقيم بالكرم ولا تعرف الحامض من الحلو؟ فقال: وحقك أيها السيد: إني ما ذقته ولا أعلم حامض هو أو حلو. فقال له سيده: لم لا تأكل منه؟ فقال: لأنك أمرتني بحفظه ولم تأمرني بأكله، فما كنت أخونك. فتعجب منه القاضي وقال: حفظ الله عليك أمانتك.

وعلم القاضي أن الغلام غزير العقل. فقال له القاضي: أيها الغلام قد وقع لي فيك رغبة، وينبغي أن تفعل ما آمرك به. فقال مبارك: أنا مطيع لله ولك. فقال القاضي: اعلم أن لي بنتاً جميلة وقد خطبها كثير من الأكابر والمتقدمين، ولا أعلم لمن أزوجها فأشر عليّ بما ترى؟ فقال الغلام: إن الكفار في زمان الجاهلية كانوا يريدون الأصل والنسب والبيت والحسب، واليهود والنصارى يطلبون الحسن والجمال، وفي عهد رسول الله ﷺ كانوا يطلبون الدين والتقى، وفي زماننا فالناس يطلبون المال. فاخترت الآن من هذه الأشياء الأربعة ما تريد؟ فقال له القاضي: ياغلام قد اخترت الدين والتقى، وأريد أن أزوجك ابنتي لأنني قد وجدت فيك الصلاح والديانة، وجربتك في التقى والأمانة. فقال الغلام: أيها السيد أنا عبد رقيق هندي أسود كيف تزوجني بابنتك وترضاني، وقد ابتعتني بمالك؟ فقال له القاضي: قم بنا إلى البيت لندبر هذا الأمر.

فلما صارا إلى المنزل قال القاضي لزوجته: اعلمي أن هذا الغلام الهندي دين وتقي، وقد رغبت في صلاحه وأريد أن أزوجه بابنتي فما تقولين؟ فقالت: الأمر إليك، ولكن أمضي وأعلم الصبية وأعيد عليك جوابها. فجاءت الأم إلى الصبية، فأدت إليها رسالة أبيها فقالت: مهما أمرتماني به فعلته ولا أخرج عن حكم الله وحكمكما ولا أعانيكما بالمخالفة بل أبركما. فزوج القاضي ابنته بمبارك وأعطاهما مالاً عظيماً. فأولدها مبارك ولداً سماه عبد الله وهو معروف في جميع العالم عبد الله بن المبارك، صاحب الزهد والعلم ورواية الحديث، ومادامت الدنيا فالحديث عنه يروى.

نعم أيها الأخ إذا تزوجت فأطلب ذات الدين ولا تطلب ذات الصيت والمال. فإن المال يعود وبالاً، ولا تعطيكه المرأة. فإذا أردت أن تطلب الزوجة فلا تطلبها لأجل بلوغ الشهوة، بل أطلبها بنية أنها دينة وصالحة لتكون في حذرك وطاعتك وتكون لك ستراً من النار.

## حكمـــة

نزل بعبد الله بن المبارك بعض الأيام عشرة أضياف من العلماء، ولم يكن عنده ما يضيفهم به. وما كان يملك سوى فرس كان يحج عليها سنة ويغزو سنة، فذبح الفرس وطبخ منها وقدمه بين يدي الأضياف. فقالت له زوجته: ما كنت تملك من الدنيا غير هذا الفرس فلم ذبحتها فدخل سريعاً إلى بيته وأخرج من متاع البيت بقدر مهرها وطلقها في ساعته ووقته. وقال: امرأة تبغض الأضياف لا تصلح لي. فأتاه بعد ذلك بأيام رجل وقال له: يا إمام المسلمين لي بنت وقد توفيت أمها وهي كل يوم تمزق دستاً من الثياب حزناً وغماً، واليوم تريد أن تقصد مجلسك، فقل

فى تسليتها شيئاً لعل رق قلبها. فلما جلس على المنبر ذكر فى هذا الباب ما تسلّت به الصبية عن أمها، فلما عادت إلى البيت قالت: يا أبت قد تبت ولا أعود أسخط الله سبحانه وتعالى ولكن لى إليك حاجة. قال: وما حاجتك؟ قالت: أنت تقول لى دائماً أن أبناء الدنيا يخطبونك وأرباب الأموال يطلبونك، فناشدتك الله لا تزوجنى بغير عبد الله ابن المبارك فإننا إن كان لنا دين فله دين.

فزوجها أبوها بعبد الله بن المبارك وحمل إليه جهازاً كبيراً ومالاً كثيراً، وأنفذ إليه عشرة أفراس ليجاهد عليها فى سبيل الله. فرأى عبد الله فى بعض الليالى فى منامه قائلاً يقول له: إن كنت طلقت من أجلنا امرأة عجوزاً فقد أعطيناك صبية بكراً وإن كنت ذبحت فرساً واحدة لأضيافك فقد أعطيناك عشرة أفراس عوضها، لتعلم أن الحسنة عندنا بعشرة ولا يضيع لدينا أجر المحسنين، وما عاملنا أحد فخسر ولا يخسر كما جاء فى الحكاية.

## فصـــل

قال صاحب الكتاب[1]: عمارة الدنيا وتناسل بنى آدم بالنساء والعمارة لا تصلح بغير رأى ولا تدبير. وقيل شاوروهن وخالفوهن.

ويجب على الرجل الفاضل المتيقظ أن يحتاط فى خطبة النساء وطلبهن، وليزوج البنت لاسيما إذا بلغت لئلا يقع فى العار والعيب ومرض القلب.

---

(١) أى الإمام الغزالى.

# المحتويات

الصفحة


تقديم ——— ٧
اللوحة رقم ١ (أ) ——— ١١
اللوحة رقم ١ (ب) ——— ١٢
اللوحة رقم ٢ ——— ١٣
زبدة التبر المسبوك فى نصيحة الملوك المعروف بنصيحة الملوك ——— ١٥
١. ذكر أصول شجرة الإيمان ——— ١٩
٢. ذكر فروع شجرة الإيمان ——— ٢٤
٣. بيان العينين اللتين بهما مشرب شجرة الإيمان ——— ٤١
- العين الأولى ——— ٤١
٤. فى العدل والسياسة وذكر الملوك وسيرهم ——— ٤٨
٥. فى سياسة الوزراء وسيرهم ——— ٦٠
٦. فى ذكر الكتاب وآدابهم ——— ٦٦
٧. فى سمو همم الملوك ——— ٦٨
٨. فى الحكمة وما قاله الحكماء ——— ٧١
٩. فى شرف العقل والعقلاء ——— ٧٧
١٠. فى نعت النساء وذكر ما فيهن من خير ——— ٨٣